ا. مينتس

كيف حدثت ثورة أكتوبر

٧٠ عاما على قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى

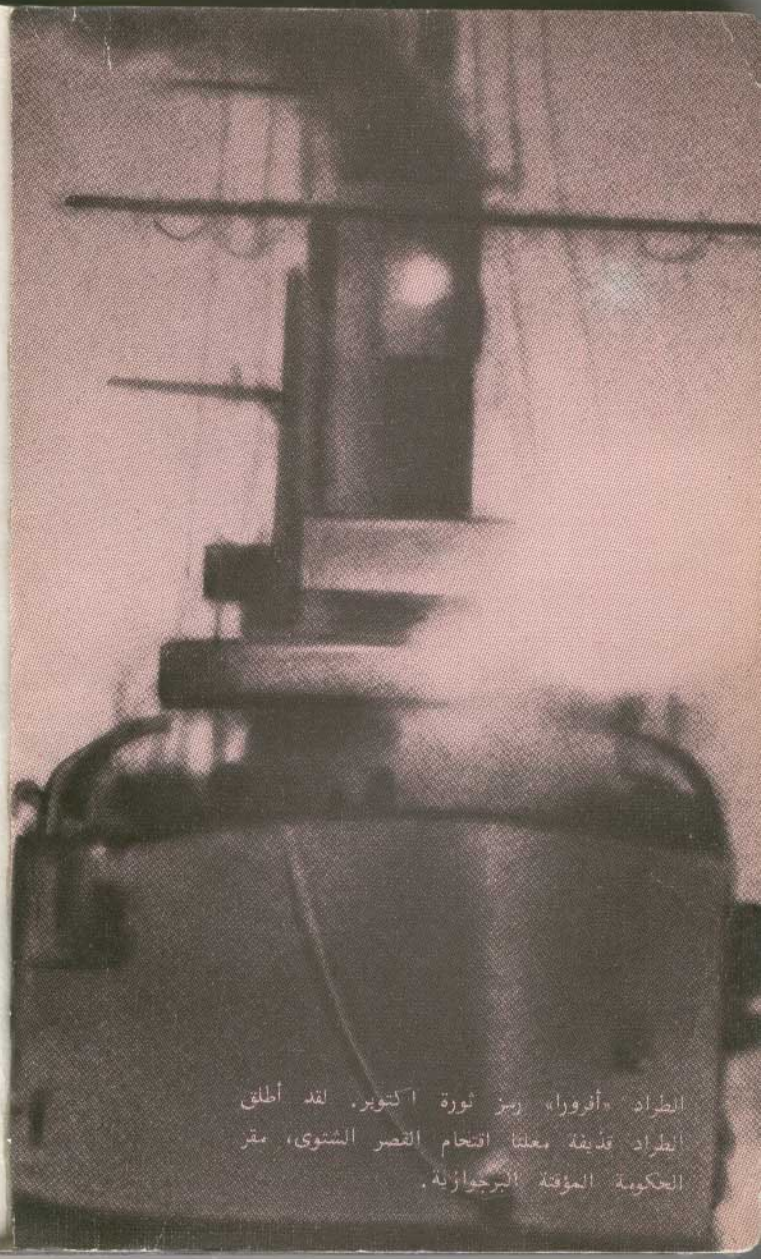

الطراد «أفرورا» رمز ثورة اكتوبر. لقد أطلق الطراد قذيفة معلنا اقتحام القصر الشتوى، مقر الحكومة المؤقتة البرجوازية.

ا. مينتس

كيف حدثت ثورة أكتوبر

لقد حدثت ثورة العمال والفلاحين التى تحدث البلاشفة طوال الوقت عن ضرورتها... ولقد بدأت من الان صفحة جديدة فى تاريخ روسيا، وينبغى على الثورة الروسية الحالية، الثالثة، أن تؤدى فى محصلتها النهائية الى انتصار الاشتراكية.

فلاديمير لينين

دار نشر وكالة «نوفوستى»
موسكو، عام ١٩٨٧

0505030101

© دار نشر وكالة «نوفوستى»، ١٩٨٧

المحتويات

١ — دور ثورة اكتوبر ومكانتها فى التاريخ ٧

هل الثورة أمر عفوى، أم هى سنة تطور المجتمع؟ ٧

هل كانت ثورة اكتوبر أمرا محتوما؟ ١٢

بداية الحرب العالمية الاولى ٢٥

٢ — الفترة السلمية من ثورة عام ١٩١٧ ٣٢

انتصار الثورة الثانية فى روسيا ٣٢

ظهور ازدواج السلطة ٣٧

انفراد البرجوازية بالسلطة ٤٢

«كل السلطة للسوفيتات!» ٤٦

التحالف لدى السلطة ٥٤

الازمة الثانية للسلطة: العمال وحامية العاصمة يؤيدون البلاشفة ٦٠

الازمة السياسية الثالثة: استيلاء البرجوازية على السلطة بأكملها. ٦٦

٣ — الهجوم على حكومة الثورة المضادة ٧٥

البرجوازية تشعل نيران الحرب الاهلية ٧٥

الثورة ليست حتمية فحسب، بل وضرورية أيضا. ٨٣
ينبغي اسقاط الحكومة اليوم، لانه قد يفوت الاوان غدا. ٨٨
ما الذى أعطته ثورة اكتوبر الى شعوب روسيا والكادحين بالعالم كله؟ ١٠٣

١ — دور ثورة اكتوبر ومكانتها فى التاريخ

هل الثورة أمر عفوى، أم هى سنة تطور المجتمع؟

يحكى ان القيصر الروسى نيقولاى الاول عندما سمع بنبأ حدوث ثورة عام ١٨٤٨ فى فرنسا اندفع الى البهو الذى اقيم فيه حفل راقص وأصدر أمره بصوت جهورى: «ركبوا السروج أيها السادة الضباط، فقد اندلعت الثورة فى فرنسا...»

ربما كانت هناك مبالغة بعض الشىء فى صحية الملك الذى دب فى نفسه الهلع، ولكنها تنقل صورة صادقة تماما عن هلع الطبقات المتسيدة من الثورة. والتاريخ يعطينا أمثلة عديدة متزايدة على ذلك.

فثورة اكتوبر عام ١٩١٧ فى روسيا قد بثت الفزع فى نفوس أقوياء ذاك الزمان من غضبة الشعب. ولقد عبر الجنرال الالمانى جوفمان عن هذا الهلع بصراحة فى كتابه الذى اشتهر، أو السيئ السمعة ان توخينا الدقة فى القول «موسكو فى كل مكان!». فقد تراءت له يد موسكو وراء كل ومضة واندلاعه لتلك العاصفة الثورية التى عمت القارات جميعا بعد عام ١٩١٧. هذا على حين ان السلطة

السوفيتية كانت فى المهد وليدة للتو فى تلك الحقبة وكانت هى نفسها بحاجة الى الحماية والمناصرة. ولكن ما بال الجنرال العدوانى النزعة بذلك؟ فالمهم بالنسبة له هو تخويف الشعب بشبح الثورة. وفى وقتنا الراهن أيضا ينسبون أية أعمال ضد الطغيان والقسر أينما حدثت الى مبادرة «المحرضين السوفيت».

وترتبط بهذه الرواية على نحو وثيق اكذوبة مختلقة ساذجة بصدد تصدير الثورة، وكأنما يمكن ارسالها حسب الطلب مثل أية سلعة مغلفة الى أى بلد وفى أى وقت وبأى كمية. على حين أنه ينجم فى كل بلد تناسبه الطبقى الخاص به وقواه المحركة تبعا لخصائصه القومية وعاداته وتقاليده التاريخية. ويستحيل انهاض جماهير الشعب واخراجها الى الشارع وتنظيمها للنضال بطريقة مصطنعة.

على أن الثورات لا تصدر ولا تفرض عنوة ولا تتم بالتعيين وانما تولد وتنضج فى اعماق المجتمع. والا لكان بوسعنا ان نتساءل: لماذا يتجنب المصدر المطلق القوة للثورات بعض البلدان ويفضل تصديرها الى البعض الاخر؟ أم هل يستحوذ البعض على أسرار خاصة وأمصال واقية ضد الثورات؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا لا يقتسم محاليله الناجعة الشافية من الثورات مع الجيران والاصدقاء؟

وعلى أية حال فان مؤلفى هذه الروايات والنظريات كلها، أو على الاصح هؤلاء الذين يلهمونهم ويعولونهم

يعرفون مصلا شافيا كل شىء حسب رأيهم هو التدخل المسلح ضد الشعب المناضل الذى أخذ مصيره بيده. على ان الممارسة اليومية تحدثنا ان هذه القوة أيضا تصبح عاجزة اذا ما وقف الشعب بصلابة وتمسك برأيه ومصالحه وعمل بشجاعة وحسم كرجل واحد ضد التدخل الاجنبى المسلح. ولعلنا لسنا هنا بحاجة الى ايراد أمثال. فالقارئ يذكر دون مساعدة منا دروس فيتنام وكوبا ونيكاراجوا وغيرها.

ان المؤلفين المدافعين عن النظام الرأسمالى يعملون بكافة مستوياتهم على اقناع الشعوب بضرورة العدول عن الطريق الثورى. ولقد أطلقوا «نظرية» عن.. ثمن الثورة، فيزعمون انها تكلف غاليا وتجلب معها الخسائر والتضحيات وكسر الحياة المعتادة والخراب وبلبلة الاقتصاد. وهذه «نظرية» ليست جديدة بحال، ولذا فهى ليست فريدة: فقد أكد كبار ملاك العقارات والبرجوازية الروسية بكل الطرق ان الثورة تجلب معها تضحيات لا تحصى وتسيل انهارا من الدماء. لقد عملوا كل شىء بهدف ترويع الشعب، ولكنه لم يهتز واندفع بجرأة ضد النظام القديم. ولقد أثبتت الحياة بالكامل جدوى هذه الجرأة وبررتها. فالدماء قد سالت عندما عرضت الثورة المضادة الداخلية والخارجية الموحدة البلاد للحرب الاهلية الطويلة. فما علاقة ذلك بثمن الثورة؟ انه ثمن الثورة المضادة التى أغرقت البلاد فى الدماء.

وفى الاونة الاخيرة ظهر أسلوب «نظرى» جديد فى تناول مسألة الثورة: وما الداعى للثورة بوجه عام؟ ان ما تحققه يمكن الوصول اليه دون هذا الاجراء الجذرى. وخذوا بلدان الغرب كمثال: فهى لا تعرف الثورات ومع ذلك فقد حققت التطور الناجح وتستحق ان تكون قدوة يحتذى بها.

ومن ثم علينا أن نذكر هؤلاء بأن الولايات المتحدة الامريكية مدينة بتطورها السريع الى الثورتين الامريكيتين المجيدتين. والثورة الانجليزية التى وجهت نصلها ضد فلول الاقطاع قد اتاحت فرصة الانقلاب الصناعى وضمنت لفترة طويلة تحويل انجلترا الى ورشة للعالم كله. أما الثورة الفرنسية الكبرى فقد أخصبت بأفكارها القارة الاوروبية وأمريكا الشمالية وارتقت بفرنسا مع الثورات الفرنسية الاخرى الى مصاف الدول العالية التطور. ويمكن ان نقول نفس الشىء عن كافة البلدان الرأسمالية الصناعية العالية التطور، التى تدعى لنفسها حق القيام بالادوار الرئيسية فى عالم الرأسمالية كله. فنجاحاتها قائمة على العمليات الثورية السابقة. وتكون النتيجة هى ان الدول الرأسمالية ذاتها قد استفادت على نطاق واسع من ثمار ثوراتها، وتنكر على الاخرين الان السير على هذا الطريق الذى أحلته فى حينه لنفسها. ان ما يليق بالسادة محظور على العبيد...

واذ حاق الاخفاق الدورى بمروجى الدعاية الغربية فى محاولاتهم تخويف الشعوب ببعبع الثورة، قرروا تحريف

جوهر مفهوم الثورة نفسه. وهم يبحثون عن تعريف للثورة ينفر الجماهير منها ويفضها عنها ويجعلها تلعنها وتسبها. فهم يسوقون تعاريف مثل: «الانفجار الدامى»؛ «تواطؤ الديماجوجيين»؛ «الذهان الغفير»؛ «العدوى الاجتماعية»؛ «الوسوسة النفسية» ... الخ.

ولكن هذه الوصمات واللعنات كلها لا تنطوى على أى تعريف علمى للثورة، كذلك الذى طرحه معلمو البروليتاريا والخبرة التى أكدتها القرون. فالماركسيون يفهمون ان المقصود بالثورة هو الحركة العميقة الواسعة لجماهير الشعب، التى يتم أثناءها القضاء على كافة التناقضات فى المجتمع عن طريق ازاحة الطبقات القديمة عن السلطة وانتقال هذه السلطة الى أيدى الطبقة الجديدة.

وهذا التعريف يمكننا من التمييز بين الثورة الشعبية وبين الانقلابات التى ينظمها القصر وبين الاصلاحات أيضا. فالمحصلة النهائية لاية مؤامرات ينظمها القصر أو تفنيط الجنرالات تتمثل دائما فى الابقاء على السلطة فى أيدى الطبقات المتسيدة السابقة. وجوهر الاصلاحات بدوره لا يتوقف على شكل اجرائها (مؤامرة سلمية أم قمع دامى للمعارضة) ولا على مدى جدية التنازلات أو عدد الضحايا، ويتلخص هو الاخر فى الابقاء على السلطة فى أيدى الطبقة القديمة.

وانتقال السلطة الى أيدى طبقة جديدة يعنى تغيير الطبقة التى تتولى الاشراف على المجتمع وتسيير أموره، والانتقال الى تكوين اجتماعى جديد. وقد أثبت التاريخ

هذه السنة الطبيعية لتطور البشرية. فقد سقطت الاقطاعية على أيدى الثورات البرجوازية التى ازاحت سلطة ملاك العبيد واعطت السلطة للبرجوازية. ويجرى على مرأى من أبناء جيل أو جيلين فى العصر الراهن استبدال المجتمع البرجوازى بتكوين اجتماعى آخر هو الاشتراكية. وتتقلد طبقة جديدة السلطة، هى البروليتاريا. ومنبع هذا التغيير هو ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، التى أرست بداية انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية.

هل كانت ثورة اكتوبر أمرا محتوما ؟

قد يبدو هذا السؤال من نافلة القول. فلقد حدثت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فعلا ولا ينبغى لاحد أن يشطبها من التاريخ. ولكن هناك «متخصصون» يفترضون انه كان بالامكان عدم حدوثها.

بحث البعض فى الكتب المدرسية عن معلومات تفيد ان الصناعات الثقيلة فى روسيا فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر قد ضاعفت الانتاج ٣ أمثال. ويرفع المتخصصون فى الشئون السوفيتية عقيرتهم بابتهاج: هاكم هى بشائر التصنيع !

هذا صحيح. فقد حدثت طفرة فى الصناعة بروسيا القيصرية فى أواخر القرن التاسع عشر فضاعفت الانتاج ٣ أمثال.

غير ان المتخصصين فى الشئون السوفيتية قد نسوا ان الازمة العالمية قد حلت فى أوائل القرن العشرين فعادت بالبلاد القهقرى الى الوراء فتردت فى الكساد الاقتصادى الذى امتد طويلا. هذا على الرغم من أنه قد حدث مد صغير فى اقتصاد روسيا قبيل الحرب العالمية أعوام ١٩١٤ — ١٩١٨ ...

وهناك بعض المتخصصين فى الشئون السوفيتية يعترفون بأنهم قد زادوا العيار حبتين فى نقد القيصرية ويزعمون بأنها ساعدت على تطوير العلم والثقافة فى روسيا. اذا كان هذا صحيحا، فكيف نفسر اذن ان ٧٥٪ من سكان البلاد آنذاك كانوا من الاميين، وان هؤلاء القلة الذين تمكنوا من الافلات فرادى من أصفاد الجهل والالتحاق بالمدارس المتوسطة كانوا محل احتقار المسئولين، اذ كانوا يطلقون عليهم وصف «أبناء الطباخين» ؟

ويقول لنا الباحثون عن بديل للثورة: لقد كان هناك تعليم ومدارس وجامعات فى عهد القيصرية. وكان هناك العلم أيضا، الذى شغل ممثلوه مكانة بارزة وشهرة عالمية. ونقول لهم هذا صحيح. الا ان تطور الرأسمالية واستخدام الماكينات قد تطلب وجود عبيد متعلمين يستطيعون استخدام الوسائل الفنية العصرية، وكان الامر بحاجة الى أسطوات ومهندسين. فالرأسمالية تتطلب قدرا معلوما من العلم لدى العمال أيضا.

وسنورد هنا بعض الارقام. جرى تعداد السكان فى

روسيا عام ١٨٩٧. وكان بالبلاد ١٢٦ مليونا منهم ٢١,١٪ يلمون بالقراءة والكتابة. كان هنـاك مائة مليون فـرد لا دراية لهم بالقراءة أو الكتابة! وكان الوضع أسوأ مـن ذلك بالنسبة للشعوب غير الروسيـة: فقد كانـت نسبة الاميين بين الطاجيك هى ٩٩,٥٪ وبين القيرغيز ٩٩,٤٪ وبين الاوزبيك ٩٨,٤٪، أى كان من الندرة أن نجد شخصا يستطيع أن يوقع اسمه فى الاوراق والمستندات. وتحسن الوضع فى هذا المقام قليلا فى القرن العشـرين. فقد كانت نسبة الاميين فى روسيا هى ٧٣٪ فى عام ١٩١٣ دون أن يدخل فى هذه النسبة عدد الاطفال دون التاسعة من العمر. أو هل كان بالامكان الحصول على نتائج أفضل من ذلك، اذا كانت القيصرية تنفق على تنوير الشعب أموالا أقل مما كانت تنفقه على انشاء وصيانة السجون! قرأ القيصـر نيقولاى الثانى خبرا نقلوه اليه عن عدم وجود متعلمين تقريبا بين المستدعين لاداء الخدمة العسكرية بالجيش، فعلق على ذلك بقوله: «الحمد لله على نعمائه!». وليس صدفة أن أطلق فلاديمير لينين على وزارة التنوير الشعبى تسميـة «وزارة التعتيم الشعبى».

كانت روسيا القيصرية بلدا متخلفا من الناحية الاقتصادية والفنية. ويكفى أن نذكر حضرات القراء بأن انجلترا كانت متفوقة على روسيا من حيث استهلاك الفرد الواحـد من السكان للحديد قبيل الحرب العالمية الاولى بمقـدار ٤ أمثال. وكانت المانيـا متفوقة عليها بمقدار ٥ أمثـال

كان فلاديمير لينين هو مؤسس أول منظمة ماركسية فى روسيا: «اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة».

وأصبحت صحيفة «ايسكرا» («الشرارة») باشرافه هى الجهاز النضالى للماركسيين الثوار الذين تمكنوا فى ظروف بالغة الصعوبة من الاضطلاع بعمل كبير للاعداد الفكرى والسياسى والتنظيمى للحزب الجديد الطراز.

ИСКРА.
ДЕКАБРЬ 1900 ГОДА.

والولايات المتحدة الامريكية بمقدار ١٠ أمثال فى نفس هذا المؤشـــر.

على أن روسيا كانت تنتمى من حيث تطور الرأسماليـــة الى عداد البلـــدان المتوسطة التطور. كما انهـــا قـــد تفوقت على كافة البلدان الطليعية من حيث وتائر نمـــوها. فقبيل اندلاع الحـــرب العالمية الاولى كان يتركز فى ٥٪ من المنشآت نصف اجمالى عدد العمـــال العاملين فـــى الصنـــاعة. هذا على حين ان ثلث اجمالى العمـــال فى الولايات المتحـــدة الامريكية كان يعمل بمثل هذا العدد من المنشآت هناك. وكان تفسير ذلك هو أن روسيا قد بدأت سيرها على طريق الرأسمالية فى فترة لاحقة للبلدان الاخرى. ولم تكن بحاجة الى الانتظار حتى تنمو الصناعة البدائية وتتحول تدريجيا فى كل مكان الى منشآت صناعية. وبدأت طائفة من فروع الصناعة وفى مقدمتها التعدين بتشييد منشآت كبرى على الفور، وهو الامر الذى ساعد الرأسماليون الاجـــانب الرأسماليين الروس فيه.

ان تركيز جماهير كبيرة من العمال فى المصانع الكبرى هو احدى خصائص التنمية فى روسيا والتى لعبت دورا هائلا فى نجاح الثورة. فقد كان البلاشفة يعملون قبل كل شىء فى المصانع الكبرى: فقاموا بالعمل التنويرى الايضاحى والتوعية. وأعدوا الكوادر الجديدة محل تلك التى كان البوليس السرى يلقى القبض عليها دون هوادة وينفيها ويلقى بها فى المعتقلات أو يصفيها جسديا. وأصبحت المنشآت الكبرى

قلاعا وحصونا فريدة للبلشفية*. وليس صدفة ان أطلق العمال على المنشآت الكبيرة تسمية «مصانع البلاشفة».

لم يكن تخلف روسيا متمثلا فى عدم وجود الرأسمالية، وانما فى ضعف تطورهـــا. فقد كانت تعيقها المخلفات الاقطاعية والقنية التى عمت البلاد بوجه عام والريف بوجـــه خاص. وكانت البروليتاريا فى روســـيا تعانى معاناة مضاعفة: من تطور الرأسماليـــة، ومن عدم كفاية تطـــورها. وكان الرأسماليون يستغلون البروليتاريا دون هوادة، اذ كان تحت امرتهـــم دائما جيش احتياطى هائل من طالبى العمـــل. فقد كانت تصطف خارج أبواب الفابريقات والمصـــانع صفوف طويلة من فقراء الفلاحين الذين دفعتهم الحاجة الى النزوح من الريف وكانوا على استعداد للعمل لقاء أجر زهيد. وانعكس على نحو وخيم على وضع البروليتاريا أيضـــا التطوير غير الكاف للرأسمالية التى لم تسعف بتحطيم عوائق القنانة. وحظر البوليس على العمـــال أن ينظموا أنفسهم أو يدافعوا عن حقوقهـــم.

كان الفلاحون يشكلون الجانب الاكبر من الجيش الهائل غير المتجانس من هؤلاء الذين كانوا يعانون من وطـــأة الاستغـــلال. وكان مالك العقـــارات الكبيـــر هو المتسيد

---

* يرجع أصلها الى كلمة «بلشينستفو» («الاغلبية»). وفى عام ١٩٠٣ أصبح الاشتراكيون الديمقراطيون فى روسيا بلاشفة، اذ اختاروا طريق النضال الثورى وساروا بثبات على المثل العليا الشيوعية لكارل ماركس وفردريك انجلز وكانت مرادفة فى معناها للفظة «شيوعيين».

فى القرية كما كان الحال من قبل. وعندما حررت الحكومة القيصرية الفلاحين من تبعية القنانة فى عام ١٨٦١، لم توفر لهم كمية كافية من الاراضى، بل قامت على العكس من ذلك باستقطاع الجانب الاكبر من تلك الاراضى التى كانت فى حوزة طبقة الفلاحين لفلاحتها، وكان هذا الاستقطاع لصالح كبار ملاك العقارات. كان ذلك تحريرا شكليا، فقد كان الفلاحون مصفدين مرة أخرى فعليا بالتعويضات الهائلة نظير الارض. أضف الى ذلك ان السلطات قد اثقلتهم بمختلف القيود التشريعية التى كانت تحظر عليهم مغادرة القرية، مجبرة اياهم على الخضوع لمالك الارض السابق لكى يفلحوا له أرضه. وكان هذا فى جوهر الامر هو نفس حالة العبودية المجددة بعض الشىء تشريعيا.

ولذا كان من أهم التناقضات الرئيسية بل والسبب الاساسى لتخلف روسيا ذلك التناقض بين الصناعة الرأسمالية المتطورة نسبيا وبين الريف التى تسوده علاقات أشبه بالقنانة.

وكان الوضع عصيبا للغاية فى المناطق القومية بوجه خاص. فقد حولت القيصرية قانون الغاب فى المجتمع الاستغلالى «فرق تسد!» الى منظومة لقهر الاقوام غير الروسية. وكانت تؤلب الشعوب أحدها على الاخر. وكانت تؤلب الصفوة والقمة الغنية داخل كل أمة ضد الشعب الكادح بها. وكانوا يطردون الفلاحين من الاراضى

الخصبة. وكانت تنقل بدورها الى ملكية كبار ملاك العقارات وموظفى البوليس والمؤسسات القيصرية.

وكانت الشعوب المقهورة محرومة من أية حقوق. وكان محظورا عليها اصدار الكتب أو المجلات باللغة الام. وكان التدريس باللغة القومية الام محظورا فى المدارس القليلة العدد. وكانت تطلق تسمية رسمية على غالبية الاقوام غير الروسية هى «ابناء الشعوب الاخرى».

وكانت هذه الجماهير الهائلة كلها تمثل الشعب الذى كانت تتسيده حفنة من كبار ملاك العقارات وعلى رأسهم اكبر مالك للارض على الاطلاق وهو الملك المستبد المستنير الذى كان يحكم بالتحالف الوثيق مع اساطين الرأسمال.

فمن الذى كان يستطيع ان ينظم جماهير الشعب الهائلة ويحفزها للتحرر من القسر والفقر؟

أجابت الثورة الروسية الاولى على هذا السؤال، اذ هزت روسيا بعنف أعوام ١٩٠٥ — ١٩٠٧. وأظهرت الطبقات كلها خلال الثورة انها قادرة على العمل، وأظهرت الجميع قواهم وامكانياتهم. وانتهت الثورة بالهزيمة، لكن جماهير الشعب العريضة رأت جميع الطبقات فى النضال وكان باستطاعتها مقارنة برامجها وسلوكها وادراك واختيار القوة القادرة على تحرير الكادحين من النير.

غير ان القيصرية التى فزعت من الثورة، كانت مضطرة

الى تقديم التنازلات. يتظاهر المتخصصون المعاصرون فى الشئون السوفيتية بالانغماس التام فى العلم ويقولون: ألم يكن من الضرورى السير قدما فى الاصلاحات؟ على ان الاقدام على تنازلات أكبر كان معناه ان تكشف القيصرية من كونها قيصرية. فكل ما فى الامر هو ان الملك المستبد الذى لا يحد من سلطاته شيء قد وقع مرسوما بانشاء دوما الدولة «البرلمان» فى روسيا. وكادت البرجوازية فى العالم كله تصفه بأنه برلمان. لكن فى الواقع الامر كان امامه الكثير حتى يصبح برلمانا حقيقيا. فلم يكن من حقه اختيار الحكومة الخاضعة له والرقابة على عملها.

كانت القيصرية مستعدة لتقديم تنازلات تمس مصالح كبار ملاك العقارات بقدر ما، شريطة الا تضعف سلطة القيصرية. وفى عام ١٩٠٦ أى فى أوج الاعمال الثورية من جانب الفلاحين اقترح الوزير القيصرى ستوليبين توزيع الارض على جزء معلوم من الفلاحين، على حسابهم هم انفسهم وليس على حساب كبار ملاك العقارات. وتتلخص خطة ستوليبين فى نقل ملكية الاراضى التى كانت مشاعة فى حيازة الفلاحين وذلك عن طريق دفع ثمنها. وكان حساب السلطات قائما على أساس أن يشترى الكولاك أى الفلاح الغنى قطعة أرض اضافية على حين يضطر الفلاح الفقير الذى ليست لديه امكانية لفلاحة قطعة الارض المخصصة له، الى بيع قطعته الصغيرة الى نفس المالك الكبير. ومن

ثم تتكون على هذا النحو فى القرية الدعامة الاجتماعية للقيصرية ممثلة فى الكولاك.

وأدى هذا الى احتدام الصراع بين الكولاك وفقراء القرية. وفى احوال كثيرة كانت السماء تضيء فى ظلمة الليل الحالكة بهالة دامية.. كانت تلك هى فيللات كبار ملاك العقارات تحترق. وهكذا بدأت القيصرية بتدابير قمع الثورة وانتهت بتقريب حدوث هذه الثورة.

لم يكن بوسع البرجوازية ان تنظم جماهير الشعب للتحرر من نير القنانة وانتفاء القوانين والقوة المطلقة للقيصرية. وظهرت البرجوازية الروسية على المسرح السياسى كعامل نشيط فعال عندما كانت البروليتاريا فى البلدان الصناعية قد نمت فعلا وأعلنت عن مطالبتها بالسلطة. وكشف الحزب البرجوازى الرئيسى عن أهدافه من واقع تسميته نفسها وهى: حزب الديمقراطيين الدستوريين، أى حزب الملكية الدستورية. وكان الشعب يسميهم بالكاديت اختصارا للاسم. وابان الثورة الروسية الاولى أجرى هؤلاء مفاوضات سرية مع القيصرية بصدد مشاركتهم فى الحكومة. وخشيت البرجوازية ان تظل وجها لوجه مع البروليتاريا وكانت بحاجة الى القيصرية لكى تدافع عن نفسها ضدها.

كانت البرجوازية بحاجة الى القيصرية كقوة بوليسية. وكانت الدول الكبرى قد شغلت جميع الاماكن المفيدة الرابحة تحت الشمس فى الاسواق الخارجية كلها منذ وقت بعيد. ولم يكن للبرجوازية الروسية ان تجد لنفسها مكانا الا

بالقوة، وكانت هذه القوة فى أيدى القيصرية بما لديها من جيش هائل. ومن هنا كان التأييد الدائم للسياسة القومية للقيصرية باتباع القهر القاسى وانتفاء الحقوق. وبالمناسبة فقد تمثل فى هذا التأييد أحد أسباب طول أمد القيصرية فى روسيا: فاذا كانت الرأسمالية تصطدم بعوائق القنانة التى كانت تعيق تطور القوى المنتجة، اضطرت الى التوسع الافقى على حساب المناطق الداخلية والاسواق الخارجية جزئيا. وهذه الامكانية لتوسع الرأسمالية قد زادت من البعد الزمنى لحل التناقضات داخل البلاد وأجلت بلوغ هذا الحل.

وقد بينت الحركة الثورية فى روسيا ان البروليتاريا وحدها هى القادرة على ان تصبح قائدا ومنظما لكافة الجماهير الكادحة. وفى السبعينات من القرن الماضى بدأت الطبقة العاملة فى روسيا السير على طريق النضال الثورى من أجل حقوقها. وبعد ذلك بـ ١٥ عاما انتزعت من القيصرية أول قانون خاص بالفابريقات. وكان يقضى بأن الغرامات التى كان أصحاب المصانع يفرضونها بصفة عشوائية على العمال، ينبغى ان توجه لصالح العمال أنفسهم وليس لصالح أصحاب المصانع والفابريقات. أما فى البلدان الرأسمالية المتطورة فقد حصل العمال على القوانين الاولى الخاصة بالمصانع بعد عقود طويلة من الكفاح. وتمكنت بروليتاريا روسيا من انشاء حزبها قبل الطبقات الاخرى، مظهرة بذلك الدرجة العالية من وعيها السياسى. لم يكن هذا

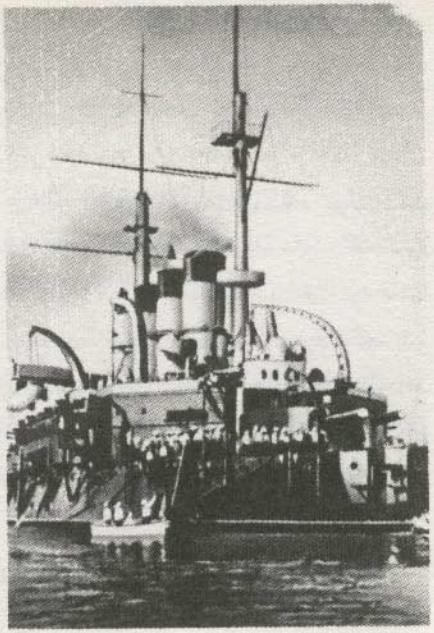

فى عام ١٩٠٥ حدثت الثورة البرجوازية الديمقراطية فى روسيا. لاول مرة شارك الجيش، الذى كان هو الدعامة المسلحة للقيصرية، فى النضال الى جانب القوى الثورية. فقد انتفض بحارة المدرعة «بوتيومكين».

الحزب من الطراز المعتاد، الذى كان معروفا لغالبية الاشتراكيين الديمقراطيين آنذاك. وكانت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية مهيأة أساسا لخدمة الاشكال البرلمانية من الكفاح. أما فلاديمير لينين فقد أنشأ حزبا يعكس الطابع

النضالى الثورى للبروليتاريا، وكان حزبا من طراز جديد غير قاصر على تمثيل البروليتاريا الروسية وحدها بل وعمال جميع أمم البلاد. وهو حزب مستعد وقادر على ترأس البروليتاريا فى نضالها الثورى.

ولقد ولدت فى باطن البروليتاريا الروسية سوفيتات (مجالس) نواب العمال، والتى قيمها لينين على الفور بأنها شكل لتنظيم الطبقة العاملة، وبأنها فضلا عن ذلك شكل جديد للسلطة. واعترف الشعب كله بالاجهزة الجديدة بسرعة. وأصبحت هى أيضا شكلا لتنظيم تحالف العمال مع الفلاحين. وتسلحت الفئات الاخرى من السكان أيضا بالاشكال البروليتارية للنضال وفى مقدمتها الاضراب. ولقد تبدى فى

وسرت موجة الاضرابات والمظاهرات فى كافة أرجاء البلاد غير أن الملكية القيصرية قد قمعتها بقسوة.

ذلك بوضوح تأثير ودور البروليتاريا فى نضال الشعب عامة.

كانت بروليتاريا روسيا أممية من حيث قوامها وروحها أى قلبا وقالبا. ولعلها لم تعرف «الارستقراطيين العاملين» لانه لم يكن لدى البرجوازية الروسية أموال اضافية للرشوة الاجتماعية، كما كان الحال بالنسبة للدول الرأسمالية المتطورة بفضل السلب والنهب الاستعمارى.

واستطاع الحزب البلشفى أن يحمى العمال من الانتهازية وصان التقاليد الثورية للثورة الروسية الاولى. وبعد ٣ سنوات من هزيمتها (عام ١٩١٠) تقدمت بروليتاريا روسيا بمطالبها من جديد. ففى يوليو عام ١٩١٤ ظهرت المتاريس فى شوارع بيتروجراد. غير ان الحرب العالمية التى اندلعت فجأة قد أدت الى قطع هجوم الثورة.

بداية الحرب العالمية الاولى

يحاول أصحاب «النظرية» القائلة بأن الحرب هى سبب الثورة أن يضعوا الاحداث التاريخية فى خدمة أنفسهم: فمن رأيهم ان الحرب الروسية — اليابانية عامى ١٩٠٤ — ١٩٠٥ قد ولدت الثورة الروسية الاولى. وأن الحرب العالمية الاولى قد تسببت فى اندلاع ثورتى فبراير واكتوبر. وان الحرب العالمية الثانية كانت هى سبب كثير من الثورات الاشتراكية الاخرى فى أوروبا وآسيا وأمريكا...

على أن تصادف الحقائق التاريخية لا يعنى انه دليل وبرهان: وينبغى ان نفرق بصرامة بين السبب والنتيجة.

فالثورة مستحيلة الوقوع دون توفر الحالة الثورية المبدئية أو دون أزمة قومية عامة، أى دون تلك الحالة التى تعجز معها الطبقات المتسيدة عن ادارة شئون البلاد، وتكون فيها عاجزة عن حل التناقضات التى تنهش جسد المجتمع، ولا تود فيها الطبقات الدنيا من المجتمع والكادحون ان يعيشوا على الطريقة القديمة وفى الظروف السابقة ويثبتون ذلك بنمو الاعمال الجماهيرية الغفيرة. وهذه المواقف والحالات الحادة لا تظهر فجأة وعلى حين غرة، بل تتهيأ من واقع سير تطور المجتمع وكل ظروف الحياة. وحدثت ٣ حالات مواتية للثورة فى روسيا: فى أواخر الخمسينات، وفى أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر، وفى أوائل القرن العشرين. ومن هذه الحالات الثلاث نمت الحالة الثالثة فقط وتحولت الى ثورة. وعجلت الحرب هذا التحول. فالحرب هى اذن عنصر من عناصر الحالة الثورية وتزيد من حدة التناقضات.

كان ذلك هو أثر الحرب العالمية الاولى المتولدة عن الامبريالية. ففى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أخذت المانيا الغارقة فى الامطار الذهبية للتعويضات التى حصلت عليها من فرنسا بعد نجاح المانيا فى الحرب، تعمل على استباق انجلترا وفرنسا من الناحية الصناعية. وطالبت لنفسها بحصة أكبر فى الايرادات العالمية. وحيث ان العالم

كله كان مع نهاية القرن الماضى مقسما بين الدول الكبرى، فلم يكن بوسع الرأسماليين الالمان أن يحققوا غايتهم الا عن طريق القوة.

وفى الاول من أغسطس عام ١٩١٤ اشتعلت الحرب لاقتسام العالم المتقسم فعلا. وأعلنت الطبقات المتسيدة بكل مجموعة من المجموعتين المتحاربتين ان الحرب من جانبها هى حرب دفاعية وطنية عادلة. أما فى واقع الامر فقد كانت حربا امبريالية غير عادلة سواء من جانب انجلترا وفرنسا وروسيا وحلفائها أم من جانب المانيا وشركائها.

وكان هناك سبب آخر من الاسباب التى عجلت ببداية الحرب، هو تشديد الحركة الثورية للبروليتاريا فى كافة البلدان المتطورة صناعيا. وكانت الطبقات المتسيدة تعقد الامل على كبح جماح الطبقة التى شبت عن الطوق وصلب عودها، وتأمل أيضا فى تهدئة ثورة هذه الطبقة واستيائها واجبار البروليتاريا فى مختلف البلدان على ابادة بعضهم البعض واطفاء زهرة الطبقة ونعنى الجيل الجديد النشيط المستعد لطرح مسألة السلطة.

وأيدت البرجوازية سياسة القيصرية بالكامل، اذ كانت تعدها بالحصول على الفوائد الهائلة. غير ان الامبريالية الروسية كانت أضعف من غيرها. وأدى التخلف العام للبلاد الى الهزائم على الجبهة على الرغم من بطولة وثبات الجنود. وخلال ٣٠ شهرا من الحرب حطمت الحرب

روسيا القيصرية التى كانت بمثابة دمية من الفخـــار والقش.

أدت الهزيمة والخسائر الهائلـــة فى الارواح على الجبهة والمجاعة والدمار والخـــراب فى الجبهة الداخلية الى الاستياء العارم الغفير. وبلغ عدد المضربين ١,٥ مليون فرد فـى عام ١٩١٦. وأحرزت بروليتاريا روسيا قصب السبق على جميع البلدان المتحاربة من حيث فعالية ونشاط الكفـــاح الاضرابـــى.

وعاشت البلاد فى انتظار الثـــورة.

وأخذت القيصرية تقتنع فى خوف وهلع وقلق بأن العنف والقسر لا يحققان الهـــدف. وأخذوا يفكرون فى الاوساط القريبة من القصر فى وقف الحرب. وكان الانعطاف والتحول فى السياسة من الحـــرب الى السلام بالغ الصعوبة ومليء بالاخطار على القيصرية. فلم تكن البرجوازية تريد أن تسمع بحال عن وقف الحرب التى كانت تحقق لها أرباحـــا هائلة. وتشككت حكومات الدول الحليفة فى مناورات القيصرية متخوفة من فقد «وقود الحرب» متمثلا فى روسيا. واستغلت القيصرية صلة القرابة بين الاسرتين الحاكمتين فى روسيا والمانيا وأخذت تجرى المفاوضات بحذر بالغ عن امكانيـــة عقد صلح منفرد لكى تنفض يدها من الجبهة وتتفرغ بكـــل قواها للانقضاض على الثـــورة المقتربة الوشيكة. واعترفوا ان العدو الداخلـــى أكثر خطـــورة من العدو الخارجى.

واذ شكت البرجوازية فى نوايا القيصر بدء المفاوضات، فضلت الانسلاخ عنه. ونضجت مؤامرة فى الاوساط البرجوازية:

خلع نيقولاى الثانى عن العرش واحلال ابنه الصغير محله مع اختيار شقيقه ميخائيل حاكما ومدبرا للامور، وهو سياسى قصير النظر ذائع الصيت كان قريبا من أساطين الرأسمال.

وكان البلاشفة يعتبرون الثورة المرتقبة ثورة برجوازية ديمقراطية. كانت مهمتها هى القضاء على بقايا ومخلفات الاقطاع والقنانة وازاحة الملكية واقامة جمهورية ديمقراطية وتحديد يوم العمل بـ ٨ ساعات وتوزيع أراضى كبار ملاك العقارات على الفلاحين دون تعويض. ولكن البلاشفة كانوا يدركون كما كان عليه الحال فى عام ١٩٠٥ ان قطار الاعمال الثورية قد فات البرجوازية: فهى ليست قادرة ولن تكون لديها الرغبة فى أن تصبح قائدا وذلك نظرا لانها كانت وثيقة الصلة بمصالح القيصرية.

ان السنوات العشر التى انقضت منذ الثورة الاولى قد صقلت البروليتاريا فى المعارك الطبقية وزادت عمق التفاوت الطبقى فى القرية وأصبحت صلة فقراء الريف الفلاحين بالبروليتاريا اكثر متانة ووثوقا. واكتسب حزب البلاشفة خبرة المعارك الطبقية وتمكن من الذود عن خطه ضد الانتهازية من اليمين واليسار. وقد سمح هذا كله بعقد الامل على ان الثورة لن تتوقف فى المرحلة الديمقراطية البرجوازية، وانها ستنمو وتتحول الى ثورة اشتراكية. وتبدأ الحكومة الثورية فورا فى وقف الحرب الامبريالية الاغتصابية، ولكن ليس عن طريق صلح منفرد مع بلد واحد، وانما عن طريق اقتراح السلام الديمقراطى الشامل لكافة الشعوب دون أى ضم أو تعويضات، ولكن

شارك آلاف العمال فى مظاهرة العاملين بالسكك الحديدية فى موسكو أثناء صيف عام ١٩١٦. وكان كل شيء يتحدث عن مد ثورى جديد للجماهير.

اذا رفضت الامبريالية العالمية هذا السلام أو حاولت خنق الثورة الاشتراكية بشتى السبل، فسوف يهب الشعب للدفاع عنها وسوف يخوض الحرب الثورية فى ظل تعاطف وتأييد سائر القوى التقدمية فى العالم.

ان صفحات تاريخ نضال حزب البلاشفة من أجل الجماهير اثناء الحرب مليئة بالبطولة والتفانى والايمان العميق بأنه على حق. وكان البوليس السرى فى العاصمة والمراكز الصناعية الاخرى يراقب المنظمات البلشفية بواسطة الاستفزازيين ويعتقل اعضاءها. وكان عمل البلاشفة من الخطورة بمكان فى صفوف الجيش. وكانت قولة الاحتجاج تعاقب بالاشغال الشاقة. وكانت عقوبة المنشور أو النداء الثورى بعدم الخضوع للقيادة هى الاعدام رميا بالرصاص. وسقطت آلاف عديدة من المناضلين الثوار صرعى، لكن حزب البلاشفة نفذ واجبه: فقد كان هو الحزب الوحيد الذى هيأ الجيش للانتقال الى صف الثورة.

من الصعوبة احصاء عدد أعضاء حزب البلاشفة فى ظروف العمل السرى. وتفيد المعلومات التقريبية ان عددهم كان نحو ٣٥ — ٤٠ ألفا. وكانت منظماته موجودة وتمارس عملها فى ٢٠٠ مدينة. وكانت قوة الحزب متمثلة فى صلاته بالجماهير والوحدة النظرية والتكاتف التنظيمى. ولم يكن البلاشفة يعرفون التقسيم حسب التيارات والاجنحة فقد كانوا يذودون بصلابة عن برنامج واحد مشترك وينتهجون خطا واحدا ويخضعون للائحة تنظيمية واحدة. والتف حولهم النشطاء من الثوار اللاحزبيين. ان الثبات المبدئى للبلاشفة واستواء صفوفهم وقوتها قد جذب اليهم عقول وأفئدة كل من كان لديه الاستعداد للذود عن مصالح الشعب وقضية الثورة.

٢ — الفترة السلمية من ثورة عام ١٩١٧

انتصار الثورة الثانية فى روسيا

عم الاضراب بيتروجراد. سرى هذا الخبر كدق ناقوس الخطر فى كافة أرجاء البلاد فى أواخر فبراير عام ١٩١٧. وفى الثالث والعشرين من فبراير أضرب أكثر من ١٠٠ ألف شخص فى العاصمة، زاد عددهم الى اكثر من ٢٠٠ الف فى يوم ٢٤ فبراير. ثم عم الاضراب العام كل عمال بيتروجراد، أى قرابة ٤٠٠ ألف شخص فى ٢٥ فبراير! وخلال ٣ أيام تحول الاضراب الى اضراب عام. وهذا دليل لا يدحض على الاستعداد العام للجماهير للعمل والانتفاض.

وطور الحزب البلشفى عملا متعدد الجوانب فى أيام الثورة للاشراف على الحركة فى بيتروجراد والاقاليم على السواء.

كان عدد البلاشفة فى العاصمة اكثر من ألفى شخص فى عام ١٩١٦، فخرجوا على رأس المظاهرات ووزعوا المشرفين على اماكن القتال وكانوا يروجون الدعوة بين الجنود. وكانوا يجتمعون مع حلول مساء كل يوم فى الشقق السرية. وكان أعضاء لجنة بطرسبورج* يحللون سير الاحداث ويحددون

*فى عام ١٩١٤ تغير اسم بطرسبورج الى بيتروجراد. لكن لجنة بطرسبورج ظلت محتفظة بتسميتها حتى نوفمبر عام ١٩١٧.

6 2780

خطة نشاط اليوم التالى. وفى ٢٥ فبراير قررت اللجنة بعد ان تأكدت من نجاح الاضراب العام انه قد حانت لحظة الانتقال الى الانتفاضة المسلحة. وكان من الضرورى لذلك الاستيلاء على المحطة المركزية للتليفونات واقامة المتاريس فى الشوارع وانشاء المفارز القتالية والاستيلاء على المصانع.

وتقرر التوجه الى الجنود بنداء لتأييد الانتفاضة. وتم ارسال مندوبين من العاصمة الى موسكو ونيجنيى نوفجورود يحملون اقتراحا بتأييد الانتفاضة وهذا دليل واضح على ان البلاشفة لم يعتبروا ان الاحداث فى بيتروجراد هى مجرد ظاهرة محلية. وتقرر انشاء لجان خاصة فى المصانع وتشكيل مكتب اعلامى من ممثليها وذلك لتحويله حسب تطور الاحداث الى سوفيت (مجلس) نواب العمال. وقد استوعب البلاشفة جيدا بعمق ومتانة فكرة السوفيتات كأجهزة جديدة للسلطة، ودخلت فى وعى الجماهير بقوة حتى انه مع ورود الاخبار الاولى عن الانتفاضة صدار على الفور قرار بانشاء السوفيتات.

وانضم أحد الاستفزازيين الى قوام لجنة بطرسبورج ثم تم فضحه فيما بعد وحكم عليه بما يستحق من عقاب ونعنى الاعدام رميا بالرصاص. ففى ليلة الخامس والعشرين من فبراير عام ١٩١٧ نقل نسخة من محضر جلسة اللجنة المركزية الى البوليس السرى. ورفع البوليس السرى تقريرا الى رئاسته مستندا الى هذا المحضر. وجاء فى التقرير ان «منظمة حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى فى بيتروجراد قد قررت استغلال القلاقل والاضطرابات التى سادت بيتروجراد خلال اليومين

الماضيين فى الاغراض الحزبية واضفاء الاتجاه الثورى الواضح عليها بعد الاضطلاع بقيادة الجماهير المشاركة فيها». ونحن نورد هذه الوثيقة البوليسية لكى نؤكد من جديد ان السلطات القيصرية كانت تعرف القائد الحقيقى للحركة. فما هى بعد هذا قيمة كل محاولات المزيفين المعاصرين لتاريخ الثورة لاثبات الزعم بأن البلاشفة لم يشاركوا فى الكفاح بل فوجئوا به ولم يكونوا يذكرون شيئا عن السوفيتات.

كانت السوفيتات منذ ظهورها فى فترة الثورة الروسية الاولى هى بالنسبة للبلاشفة أجهزة للانتفاضة وأجهزة السلطة الجديدة. وفى الايام الاولى من الاضراب جرت فى طائفة من المصانع فى بيتروجراد انتخابات المندوبين فى السوفيت بناء على مبادرة العمال.

وفى مساء السابع والعشرين من فبراير ظهر النواب العمال فى قصر تافريا. كان الوضع غير عادى وغير معتاد لممثلى العمال. فقد تواجد هناك زعماء الجناح المنشفى* بدوما

*فى عام ١٩٠٣ حدث انقسام أثناء المؤتمر الثانى للحزب الاشتراكى الديمقراطى لروسيا. فلم توافق أقلية الحزب (ومن هنا جاءت تسميتهم بالمناشفة وهى لفظة روسية تطلق على الاقلية) على مبدأ لينين لانشاء حزب من طراز جديد قادر ومستعد لترأس النضال الثورى من أجل الاطاحة بديكتاتورية البرجوازية والمناداة بالاشتراكية وظلت على مواقف الاشتراكية الديمقراطية القديمة المهيأة أساسا للنشاط البرلمانى. ومنذ ذلك الحين عدل المناشفة خطوة وراء أخرى عن المبادئ الاساسية للماركسية: عن الاعتراف بديكتاتورية البروليتاريا وعن البرنامج الزراعى الثورى... الخ، وتولدت عنهم التوافقية مع البرجوازية فى المجموعة الانتهازية.

الدولة والذين لم يشاركوا أية مشاركة فى معارك الشوارع. وحيث أنهم كانوا من محترفى السياسة المحنكين فقد استوعبوا الموقف بسرعة وحاولوا ان يسيطروا على الاحداث. وأعلنوا أنهم اللجنة التنفيذية المؤقتة للسوفيت. وعندما عاد البلاشفة من معارك الشوارع وجدوا اللجنة التنفيذية التى لم ينتخبها أحد قائمة.

لم ينف المناشفة و الاشتراكيون الثوريون* ايضا ان سوفيتات نواب العمال هى شكل قيم ومقبول تماما لتنظيم العمال الذين توحدوا بغض النظر عن مهنهم ومدد خدمتهم وقومياتهم ودينهم وجنسهم الى آخره. ولكن كان من رأى المناشفة انه لا ينبغى للسوفيتات أن تأخذ على عاتقها تنظيم الانتفاضة وان تصبح أجهزة للسلطة. وعارض المناشفة التوحد فى سوفيتات العمال والجنود بحجج واهية كاذبة هى الحفاظ على «النقاء الطبقى» لاجهزة العمال. وطمح المناشفة والاشتراكيون الثوريون الى الابقاء على السوفيتات كنوع من الاتحادات النقابية.

وقرر السوفيت انشاء لجنة للمواد الغذائية وعهد اليها بأن تمسك دفاتر جميع احتياطيات القمح فى حيازة الدولة

*تكون حزب الاشتراكيين الثوريين فى أواخر عام ١٩٠١. وكان هؤلاء يفترضون ان جميع الكادحين: البروليتاريا وطبقة الفلاحين والمثقفين، هم القوة المحركة للثورة على قدم المساواة. ومع انهم كانوا يعترفون من حيث المبدأ بدور المنظمات الجماهيرية، فقد كانوا يطرحون فى مقام الصدارة نظرية «الابطال» و «الغوغاء»، وكانوا يرون ان الارهاب هو المحرك الاساسى للثورة.

والافراد وتنظيم امداد الجيش وسكان العاصمة الذين تركتهم السلطة القيصرية دون مواد غذائية بهدف قمع الثورة التى بدأت عن طريق التجويع. وانتزع تموين المواد الغذائية من أيدى السلطات. وخرجت السيطرة على الجيش من اختصاص القيادة القيصرية. وصدر قرار بتخصيص ممثلين للسوفيت لتنظيم أقسامه فى المناطق والبدء فى اصدار صحيفة «ايزفيستيا» وهى لسان حال السوفيت.

جلسة اللجنة التنفيذية لسوفيت نواب العمال والجنود فى بيتروجراد.

وكانت هذه القرارات كلها ذات طابع ثورى وحولت السوفيت الى جهاز للسلطة.

ظهور ازدواج السلطة

فى يوم الانتفاضة وقع نيقولاى الثانى مرسوما بحل دوما الدولة وأمرا بارسال حملة تأديبية الى العاصمة.

وفى صباح السابع والعشرين من فبراير تم اعلام دوما الدولة بمرسوم القيصر بحله. فما العمل؟ ففى حالة عدم الخضوع لتم اعتقال اعضائه. وفى حالة الخضوع يكون معنى ذلك ترك الاحداث للاقدار واضاعة اى فرصة للتأثير على الوضع فى البلاد. وأقدم النواب الذين كانوا فى وضع حرج للغاية على مناورة بدت ذكية: المثول لمرسوم القيصر بحل الدوما ولكن دون الانصراف بل الاجتماع فى القاعة المجاورة فى اجتماع خاص. وتم أثناء هذا الاجتماع اتخاذ قرار بانشاء اللجنة المؤقتة لدوما الدولة.

وفى الليل شاع خبر اجتماع سوفيت بيتروجراد وقراراته الاولى. وأصبح سوفيت نواب العمال والجنود على رأس الاحداث فعلا. وقررت اللجنة المؤقتة بدورها ان تترأس الحركة. ولا شك ان زعماء البرجوازية كانوا يتصرفون ببطء عن عمد بهدف كسب الوقت الى ان تصل حملة التأديب الى العاصمة. وفى ليلة الثامن والعشرين من فبراير أصدرت اللجنة المؤقتة قرارا بأنها ستتولى اعادة النظام العام والحكومى وتشكيل حكومة جديدة.

واذاعوا فى أفواج الحامية نبأ قرار اللجنة المؤقتة ودعوها للحضور بكامل قوامها مع الضباط الى دوما الدولة. وكان الكلام لا يعد بالكثير فقد كان أغلبه عن الحفاظ على النظام والهدوء والثقة بالضباط. وتحدثوا عن استمرار الحرب. وكان الجنود المتعطشين للسلام يستمعون فى خيبة أمل وتندو عنهم صيحة «أوراه!» ذابلة.

وسعد الساسة البرجوازيون بالنجاح المؤقت وتجاسروا على المضى قدما. فتم اصدار أمر للجنود بالعودة الى ثكناتهم وتسليم السلاح الذى أخذوه من ترسانات الافواج. وصدرت الاوامر الى الضباط الذين تركوا وحداتهم أثناء الانتفاضة بالعودة الى الافواج.

وأثار الامر الاستياء العام فى حامية بيتروجراد. ولم يسمحوا للضباط بالعودة الى الافواج. أما هؤلاء الذين كانوا ما يزالون فى الافواج فقد تم القاء القبض عليهم. وجرى فى عدة وحدات انتخاب قادة جدد من بين الجنود. وعمت الاضطرابات الحامية كلها. وظهرت جموع الجنود المسلحين فى الشوارع من جديد. وانضمت اليهم مفارز العمال. واندفع الجنود الهائجون الى السوفيت مطالبين بالغاء الامر ووضع حد لعودة النظم القديمة الى الافواج.

وفى الاول من مارس أصدر سوفيت بيتروجراد «الامر رقم ١» لحامية العاصمة الذى لعب دورا بالغ الاهمية فى كسب الجيش بأكمله الى صف الثورة:

١ — العمل فورا فى كافة السرايا والكتائب والافواج

وأطقم المدافع وفروع الاساطيل على انتخاب لجان من ممثلى الجنود.

٢ — انتخاب ممثل عن كل سرية فى سوفيت بيتروجراد.

٣ — تخضع الوحدات العسكرية فى جميع أعمالها السياسية الى سوفيتات نواب العمال والجنود ولجانها.

٤ — تنفيذ أوامر اللجنة العسكرية لدوما الدولة فى حالة عدم تعارضها مع أوامر وقرارات السوفيت.

٥ — اعطاء السلاح فى حوزة وتحت سيطرة اللجان مع عدم تسليمه الى الضباط.

٦ — ينفذ الجنود الانضباط ويحافظون عليه فى الصف، أما فى خارجه فلهم نفس حقوق بقية المواطنين.

٧ — تلغى ألقاب سلك الضباط ويكتفى بكلمات: السيد الضابط.. الخ.

وحيث كان زعماء السوفيتات — الاشتراكيون الثوريون والمناشفة — أوفياء لخطهم الخاطئ القائل بأن البرجوازية يجب ان تدير شئون البلاد فى الثورة البرجوازية، فقد قرروا التنازل عن السلطة للبرجوازية. وتم أثناء الاجتماع المشترك وضع النقاط التالية فى تشكيل الحكومة وهى: ١ — العفو التام الفورى فى القضايا السياسية والدينية. ٢ — حرية الكلمة والصحافة والاتحادات والاجتماعات والاضرابات. ٣ — الغاء الهيئات الفئوية والدينية والقومية. ٤ — الاستعداد لدعوة الجمعية التأسيسية للانعقاد على أساس الاقتراع العام المتساوى

المباشر السرى. ٥ — استبدال البوليس بالشرطة الشعبية. ٦ — ان تكون انتخابات الاجهزة المحلية للادارة الذاتية عامة ومتساوية.. الخ. ٧ — عدم نزع سلاح وحدات الجيش التى شاركت فى الثورة وعدم اخراجها من بيتروجراد.

ولم يكن أحد هذه الشروط التى طرحها المناشفة والاشتراكيون الثوريون يتعارض مع عزم البرجوازية ونواياها ولم يحد من نشاطها. فقد تم تنفيذ الجانب الاكبر من هذه المطالب فى سياق الثورة.

ومن الامور الجديرة بالملاحظة انه فى شروط التواطؤ لنقل السلطة الى البرجوازية لم يرد شىء عن شكل السلطة: هل ستظل الملكية قائمة أم سيتم اعلان الجمهورية. فالحزبان اللذان اسميا نفسيهما بالاشتراكيين قد نسيا تماما مسألة الجمهورية أما الزعماء البرجوازيون فلم تكن لديهم الرغبة منذ وقت بعيد لتقرير وحسم مصير الملكية.

وفى هذه المرحلة خشى الاشتراكيون الثوريون والمناشفة فقد ثقة الجماهير الثورية لان مسألة دخول «الاشتراكيين» فى الحكومة لم تكن قد طرحت بعد، ولم تكن البرجوازية بحاجة الى مساعدتهم بعد، فقد خيل لزعمائها انهم سيستطيعون بأنفسهم التصرف فى مسألة الابقاء على السلطة.

وفى الثانى من مارس عام ١٩١٧ تشكلت الحكومة المؤقتة. وبناء على توصية ملحة من القيادة العليا للجيش اضطر نيقولاى الثانى، بعد أن عاند يومين، الى التنازل عن العرش فى الثالث من مارس لاخيه ميخائيل. ولكن آخر الاباطرة رفض العرش دون

حيا الجنود على الجبهة سقوط الحكم الملكى المطلق بحرارة بالغة.

ان يتربع عليه يوما واحدا. وسقطت الملكية، لكن ذلك لم يستوف من الناحية القانونية فى أى مكان.

ونجمت فى البلاد حالة سياسية نادرة جدا فى التاريخ هى حالة ازدواج السلطة: فقد كانت هناك سلطة للحكومة المؤقتة، وكانت السلطة معقودة أيضا للسوفيت، الذى كانت الى صفه جماهير الشعب المسلحة.

فكيف يمكن تفسير ان الذى قام بالثورة هم العمال والجنود الذين كانوا فى غالبيتهم من الفلاحين بالزى العسكرى، بينما آلت السلطة الى البرجوازية؟ وكيف يمكن ان نفسر ان البلاشفة هم الذين قادوا الجماهير فى المعارك، على حين غدا الاشتراكيون الثوريون والمناشفة على رأس السوفيتات بوصفها أجهزة الشعب؟

السبب الاساسى هو الطابع البرجوازى الصغير للبلاد. فبعد سقوط القيصرية انخرط ملايين البسطاء فى السياسة دفعة واحدة. وكانوا لا يفرقون على الفور بين الاحزاب أو ادراك المدافعين عنهم حقا والتمييز بينهم وبين الوصوليين والانتهازيين والمحامين والمعلمين والاطباء المعسولى الكلام والبعيدين كل البعد عن الثورة من حيث جوهرهم. وتغير قوام البروليتاريا أيضا: فخلال فترة الحرب انتقل الفلاحون للعمل بالمصانع واختفى جانب من البرجوازية الصغيرة فى المصانع الحربية حتى لا تتم تعبئتهم وارسالهم الى الجبهة.

جلبت عناصر البرجوازية الصغيرة معها الترهات والافكار المتخلفة. وهذا هو السبب فى ان الثورة التى حدثت دون مشاركة البرجوازية وضدها قد جلبت لها النجاح المؤقت.

انفراد البرجوازية بالسلطة

بعد أن تسلمت البرجوازية السلطة من أيدى الشعب المنتصر أسرعت لتثبيت هذه السلطة فى أيديها. وحاولت الحكومة المؤقتة الحفاظ على الجهاز القديم للدولة. وأصدر مجلس الثورة قرارا بالغاء السلطات القيصرية، غير أن الحكومة المؤقتة استمرت فى دفع مخصصاتها. وفى الاول من مايو — أى بعد شهرين من انتصار الثورة ! — صدر مرسوم باحالة موظفى القيصرية الى التقاعد مع صرف معاشات كبيرة لهـــم.

وأبقت الحكومة المؤقتة على القوانين القيصرية حتى تلك التى صدرت بدون دوما الدولة. وكان قد ورد فى بيان انشاء الحكومة المؤقتة وعد باستبدال البوليس بشرطة الشعب، ولكن الذى حدث فى واقع الامر هو الاقتصار على تغيير افراد البوليس السرى وقيادة البوليس بضباط من الجيش، مع بقاء كل شىء دون تغيير تقريبا فى بعض المناطق. وتم الحفاظ فى المناطق القومية على الجهاز الادارى القديم كله.

ولكن لم يرد شىء فى بيان انشاء الحكومة المؤقتة عن مواصلة الاعمال العسكرية. ولم تكن البرجوازية بالطبع تريد الغاء هذا المصدر للاثراء الذى لم يسبق له مثيل، وكانت أيضا تخشى الكلام عن ذلك صراحة.

وأعلنوا أن هذه الحرب هى حرب وطنية دفاعية ثورية، مؤكدين الزعم بأن طابع الحرب قد تغير طالما ان القيصرية قد سقطت. وحاولت البرجوازية بشتى الطرق الابقاء على الجيش فى الجبهة وعدم السماح للفورة الثورية بالانتقال الى صفوفه.

ولم يتضمن البيان شيئا عن موضوع آخر بالغ الاهمية هو مسألة الارض. ولكن حيث ان الحكومة المؤقتة كانت تخشى نمو حركة الفلاحين من أجل الارض، ولم تكن على ثقة من أن الجنود الذين كان الفلاحون يمثلون الاغلبية بينهم سوف يقومون اذا ما اقتضى الامر والضرورة بدور تأديبى. وأعلنت الحكومة المؤقتة عن تأجيل حل المسألة الزراعية حتى انعقاد الجمعية التأسيسية، ولكنها لم تشر الى موعد

انعقادها. فقد قررت التضحية بأراضى القيصر والامراء العظام والقيام فضلا عن ذلك بانشاء لجان الارض والعهود اليها باعداد قانون الارض للجمعية التأسيسية المرتقبة. غير ان الفلاحين كانوا لا يثقون الا قليلا فى قدرة هذه التدابير على الانقاذ وأخذوا ينتقلون على نحو متزايد الى التصرفات التعسفية فى حل المسألة الزراعية: الاستيلاء على أراضى كبار الملاك والاستيلاء على الادوات الزراعية والامتناع عن دفع الايجارات العالية الى كبار الملاك.. الخ.

ظهرت شهية البرجوازية النهمة بحدة كبيرة فى مجال الاقتصاد. وألغت الحكومة المؤقتة كافة القيود على اغتناء البرجوازية. وتوغلت أيدى أصحاب الاعمال فى الخزانة التى أصبحت الحكومة البرجوازية هى المتصرفة فيها. فقد جرى صرف الاعانات الحكومية ورفعت أسعار المنتوجات الحربية. وبلغت المضاربة أحجاما لم يسبق لها مثيل.

وقررت البرجوازية التى أعماها سيل ذهب الارباح والتى تمكنت منها الوقاحة بسبب انتفاء الرقابة من جانب السلطة، قررت ان بالامكان كشف أوراق مسألة الحرب. وقد دفعها الحلفاء الى ذلك بشدة. ففى العشرين من ابريل عام ١٩١٧ نشرت الصحف مذكرة وزير الخارجية ميليوكوف بصدد مواصلة روسيا للحرب. وكان لتصريح الوزير العدوانى النزعة، والذى كان يتصرف بتكليف من الحكومة المؤقتة بموافقتها التامة أثر الرعد فى الجو الصافى على الجماهير أى انهم صعقوا.

وخرج آلاف الجنود الى الشوارع احتجاجا وتوجهوا الى المبنى الذى اجتمعت فيه الحكومة.

وشرع زعماء السوفيت من المناشفة والاشتراكيين الثوريين يهدئون خاطر المتظاهرين المستائين ومحاولة اقناع الحكومة بتخفيف المذكرة. وأصدرت اللجنة المركزية للبلاشفة قرار فلاديمير لينين الذى جاء فيه ان المطالبة بخلع هذا الوزير أو ذاك هى تعبير عن التصورات الساذجة للجماهير غير المحنكة فى السياسة، لانها تستبدل الصراع الطبقى بتغيير بعض الاشخاص. وقال قرار لينين: «ان البروليتاريا الثورية التى استولت على كل سلطة الدولة بتأييد من غالبية الشعب هى التى تستطيع بالاشتراك مع الجنود الثائرين ممثلين فى سوفيتات نواب العمال والجنود انشاء حكومة يثق بها عمال كافة البلدان، وهى القادرة وحدها على انهاء الحرب بسرعة بالسلام الديمقراطى حقا». *

وسارت مظاهرة منظمة كبيرة تحت الشعار البلشفى، شارك فيها اكثر من ١٠٠ ألف فرد. ونظمت المظاهرات أيضا فى المراكز الصناعية الاخرى.

وارتبكت الحكومة المؤقتة. واقترح الجنرال كورنيلوف قائد منطقة بيتروجراد العسكرية استخدام السلاح، بل أمر بتحريك المدافع الى الميدان. لكن الوزراء الذين استبد بهم الهلع تماما اقنعوه بالعدول عن ذلك. وغدت الحكومة المؤقتة على حافة الهلاك. وكان بوسع سوفيت نواب العمال والجنود

* فلاديمير لينين. المؤلفات الكاملة، المجلد ٣١، ص ٢٩٢.

بيتروجراد، الذى كان الشعب المسلح الى جانبه، أن يستولى على السلطة دون أية مقاومة. وكان زعماء البرجوازية الصغيرة يخشون ذلك جدا، وأخذ التوفيقيون يؤكدون فى فزع استحالة ادارة شئون البلاد بدون البرجوازية.

حاول زعماء البرجوازية استغلال هذا الخوف الجنونى للخروج من المستنقع الذى دفعهم الشعب المستاء اليه. وأثناء الجلسة المشتركة مع قادة السوفيت توجه الوزراء بالرجاء الى هؤلاء الذين ألقوا طوق النجاة الى البرجوازية ذات مرة فقال الوزراء: ساعدونا أو خذوا السلطة. ووافق زعماء حزبى الاشتراكيين الثوريين والمناشفة على الدخول فى الحكومة بهدف انقاذها. وهكذا تم تشكيل أول حكومة ائتلافية.

«كل السلطة للسوفيتات!»

خرج حزب البلاشفة الى العلن واتيحت له الفرصة لاول مرة لممارسة نشاطه علنا. وفى الخامس من مارس عادت صحيفة «برافد» للظهور من جديد، وهى لسان حال اللجنة المركزية ولجنة حزب البلاشفة فى بطرسبورج.

واعيد تنظيم اللجان الحزبية على أساس المركزية الديمقراطية. وتم اقرار مبدأ انتخاب الاجهزة الحزبية من القاعدة الى القمة. وأخذت الصحف البلشفية تصدر فى موسكو والمناطق الصناعية الاخرى. وتم الافراج عن البلاشفة الذين كانت السلطات القيصرية قد اعتقلتهم. وعاد اعضاء اللجنة المركزية

والشخصيات البارزة بالحزب أمثال دزيرجينسكى وكويبيشيف وأورجونيكيدذيه وسفيردلوف وستالين وشاؤميان وكثيرون غيرهم من المنفى والمعتقلات والمهجر.

وتطلب الوضع الجديد من الحزب القيام باعادة توجيه جديدة للخطة الاستراتيجية الجديدة وتكتيكا مغايرا وشعارات جديدة.

وكتب فلاديمير لينين فى الايام الاولى للثورة وهو ما زال فى المهجر «خطابات من بعيد» حدد فيها خط الحزب بعد ثورة فبراير. وكتب ان الثورة لم تنته بعد، والذى انتهى هو المرحلة الاولى منها فقط. وكتب أيضا ان على العمال ان يبدوا البطولة ويسعوا لتحقيق النصر فى المرحلة الثانية من الثورة. وطرح لينين مهمة انشاء شرطة العمال أو الجيش الشعبى العمالى بهدف عدم السماح للحكومة البرجوازية باعادة البوليس وانقاذ الملكية. وكتب «... انتفاء الثقة تماما، وعدم تقديم أى تأييد للحكومة الجديدة؛... ان تسليح البروليتاريا هو الضمان الوحيد، اجراء الانتخابات الفورية لدوما بيتروجراد؛ عدم التقارب مع الاحزاب الاخرى».*

وفى الثالث من ابريل عام ١٩١٧ تمكن فلاديمير لينين من العودة الى روسيا مع مجموعة من المهاجرين عن طريق ألمانيا والسويد المحايدة. وانتهت سنوات المهجر الاضطرارى. واستقبلت جماهير الشعب زعيمها بالترحاب والتهليل والابتهاج.

*فلاديمير لينين. المؤلفات الكاملة، المجلد ٣١، ص ٧.

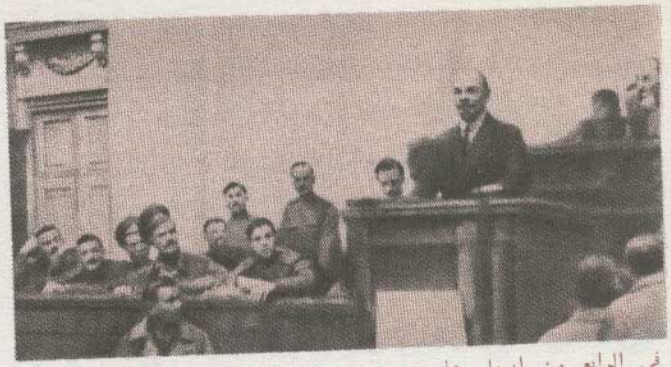

فى الرابع من ابريل عام ١٩١٧ تحدث فلاديمير لينين أمام الاعضاء البلاشفة فى بيتروجراد وطرح موضوعات لخص فيها خطة الكفاح من اجل الانتقال من الثورة البرجوازية الديمقراطية الى الثورة الاشتراكية. وعرفت هذه الموضوعات بتسمية «موضوعات ابريل».

وفى اليوم التالى القى فلاديمير لينين تقريرا فى قصر تافريا. وتناول لينين مسألة الحرب قبل كل شىء. فطابع الحرب

رفاق كفاح فلاديمير لينين (من اليسار الى اليمين): فيليكس دزيرجينسكى ويا كوف سفيردلوف ويوسف ستالين

يتحدد كما هو معروف بالطبقة التى تخوضها. وقد جرت الحرب بأيدى القيصرية التى حكمت البلاد بالتحالف الوثيق مع أساطين الرأسمال. وقد تم خلع القيصر. غير ان السلطة انتقلت الى أيدى البرجوازية التى كانت الحرب جارية لصالحها ولذا فان البرجوازية تواصل الحرب. لم تصبح الحرب شعبية أو ثورية، بل ظلت امبريالية من جانب روسيا أيضا على الرغم من حدوث الثورة فيها. وتتمثل المهمة فى ضرورة بث الدعاية

«يحيا العيد الدولى للعمل!»؛ «تحيا الاشتراكية!» خرج العمال وجنود حامية بيتروجراد حاملين هذه الشعارات فى مظاهرة الاول من مايو. ولاول مرة فى روسيا جرى الاحتفال بعيد البروليتاريا الاممى بحرية.

بين الجماهير وكشف اللثام عن حقيقة الطابع الامبريالى للحرب واقناعها باستحالة التوصل الى سلام ديمقراطى حقا دون الاطاحة بسلطة البرجوازية. ويستحيل الثقة بالحكومة المؤقتة المسئولة عن خوض الحرب.

وأبرز لينين فى تقريره ان البلاشفة ليسوا خصوما لاية حروب على علاتها. واذا انتقلت السلطة الى أيدى العمال والفلاحين فسوف يدافعون عنها.

وبعد أن عرض لينين موقف البلاشفة من الحرب، انتقل الى تحليل الوضع السياسى المعاصر فى روسيا. ان الخاصية الرئيسية له هى ازدواج السلطة: الحكومة المؤقتة كجهاز للبرجوازية وكبار الملاك. وتشكلت الى جانبها سلطة أخرى هى السوفيتات، كجهاز للشعب. وغطت السوفيتات البلاد الهائلة كشبكة كثيفة.

تطمح البرجوازية الى القضاء على ازدواج السلطة والاستحواذ على السلطة كاملة لنفسها وانتزاعها من أيدى السوفيتات وحلها. ولم يكن بالامكان انقاذ الثورة الا بالذود عن السوفيتات واعطاء السلطة بالكامل اليها. وكان الشعار الرئيسى للبلاشفة هو «كل السلطة للسوفيتات!».

غير ان الاشتراكيين الثوريين والمناشفة كانوا هم الغلبة فى السوفيتات. وكان عدد السوفيتات البلشفية قليلا، ومن ثم فقد نجم وضع يدعو فيه البلاشفة الى اعطاء السلطة كلها بالكامل لسوفيتات المناشفة والاشتراكيين الثوريين. وفسر لينين هذا الامر الذى قد يتراءى للبعض انه تناقض: السلطة

معقودة للسوفيتات. والبرجوازية تعرف هذا وتراه فى كل خطوة من نشاطها. والمقصود هو نقل السلطة كلها بالكامل الى السوفيتات، ولا يمكن تحقيق ذلك الا بقطع الصلة بالبرجوازية. وقد عنى شعار «كل السلطة للسوفيتات!» قبل كل شىء قطع الصلة بالرأسماليين وقطع وتحطيم جهازهم لسلطة الدولة وانشاء جهاز جديد لسلطة الدولة على أساس السوفيتات التى تشمل البلاد بأكملها.

وبالطبع لن يتغير الجوهر البرجوازى الصغير للاشتراكيين الثوريين والمناشفة لمجرد انتقال السلطة كلها الى السوفيتات. فسوف يظلون على تأرجحهم السابق. وسوف يظلون تواقين للقديم ويميلون الى التوافقية مع العناصر البرجوازية. ولكن هذه التأرجحات سوف تتبدى سريعا وسوف يكون من الضرورى الاختيار: اما البرجوازية واما الشعب.

ومن الاهمية بمكان أن نشير فى هذا المقام الى ان شعار «كل السلطة للسوفيتات!» لم يعن بحال تشكيل حكومة من الاحزاب التى لها الاغلبية فى السوفيتات. ولم يتلخص فى الطريقة القديمة للادارة: الاحزاب الحاكمة تعين الوزراء الذين يترأسون الوزارات القديمة والمصالح القديمة وتقدم كشوف حسابها الى البرلمان أو الجهاز الذى يحل محله. ففى حالة الابقاء على الجهاز الحكومى القديم الذى أنشأه كبار ملاك العقارات والبرجوازية لحماية سلطتهم، سوف يتعثر أكثر الوزراء راديكالية فى متاهات البيروقراطية أو يتهذبون على أيدى الموظفين المحنكين ويفقدون طابعهم الراديكالى.

وينبغى تحطيم الجهاز القديم على ان يكون ذلك فى أجهزته القمعية القسرية والوظائف القيادية مثل البوليس والمحكمة والجيش، واستبداله بالسوفيتات. وسوف تضطلع السوفيتات ذاتها بحكم الشعب الذى توحده السوفيتات وسوف يدير شئون الدولة من خلالها.

كان الماركسيون حتى ذلك الحين يعتبرون ان الجمهورية البرلمانية هى الشكل السياسى للانتقال الى الاشتراكية. ولكن من واقع خبرة كومونة باريس ونشاط السوفيتات خلال الثورة الروسية الاولى وخاصة بعد ثورة فبراير، توصل فلاديمير لينين الى استنتاج ان سلطة السوفيتات هى أفضل شكل لتنظيم المجتمع الذى يجرى بناؤه على الاساس الاشتراكى.

وكان استنتاج لينين قولا جديدا فى تطوير الماركسية.

فقد أصر فى السياسة الزراعية للحزب على المطلب السابق بمصادرة أراضى كبار الملاك دون عوض وتأميم الارض كلها. واقترح لينين مراعاة الفئات الطبقية فى القرية ونقل مركز الاهتمام الى انشاء سوفيتات نواب العمال الزراعيين بالاجر. وأوصى بانشاء مزارع نموذجية من الضياع الكبرى — من ١٠٠ الى ٣٠٠ هكتار — تحت اشراف سوفيتات العمال الزراعيين بالاجر لحساب المجتمع. وكان هذا تطويرا لاحقا للبرنامج الزراعى اللينينى فى الظروف الجديدة المحددة. كان بالامكان أيضا اعطاء الارض الى الفلاحين دون ثورة. لكن اعطاء الارض الى فقراء الفلاحين وامدادهم بالادوات الزراعية — لانه لن يمكن فلاحة الارض التى حصلوا

عليها بأيديهم المجردة — لم يكن ليتأتى الا عن طريق الثورة الاشتراكية.

واقترح لينين فى مجال الصناعة فرض رقابة السوفيتات على الانتاج وتوزيع المنتوجات وتوحيد جميع البنوك فى بنك وطنى موحد. ولم تكن هذه التدابير كلها مع تأميم الارض ارساءا فوريا لاسس الاشتراكية فى البلاد، ولكنها فى مجملها وتطورها عنت الانتقال الى الاشتراكية.

واقترح لينين قطع الصلة بالكامل مع الاممية الثانية التى انتقلت الى صف الامبرياليين، والبدء فى تشكيل أممية جديدة محررة من الانتهازية والشوفينية الاشتراكية. وكان لينين يرى ضرورة تغيير اسم الحزب: فاقترح تغييره من اسم الحزب الاشتراكى الديمقراطى، نظرا لان زعماء الاشتراكية الديمقراطية فى العالم كله تقريبا قد خانوا الاشتراكية، وتسميته بالحزب الشيوعى. وهذه التسمية تحدد بدقة اكبر هدف نضال الحزب، ألا وهو بناء الشيوعية.

كانت تلك هى التعليمات الجديدة لحزب البلاشفة. وقد شهدت على ان الحزب يتخذ وجهة الاشتراكية. وكان ذلك برنامجا محسوبا لفترة نمو الثورة البرجوازية الديمقراطية حتى تصبح ثورة اشتراكية.

قابلت الاحزاب البرجوازية والتوفيقية كلها البرنامج البلشفى بالحراب. وكتبوا فى الصحف يزعمون أن لينين قد رفع راية الحرب الاهلية، وانه لا يعمل حسابا لمصالح البلاد كلها.

ووصلت البرجوازية فى كراهيتها للينين وفكرته بصدد

الثورة الاشتراكية الى الكذب الفظيع واتهمته بالاتصال بهيئة الاركان العامة الالمانية. وأيدت سفارات الدول الحليفة هذا الافتراء الكاذب، ان لم تكن هى التى دبرته. وفى يوم الثالث من ابريل، وهو اليوم المرتقب لوصول لينين، أخبرت السفارة الانجليزية وزارة الخارجية الروسية بأن لينين «شخصا بالغ الخطورة» وسوف يكون له أتباع كثيرون. كذلك قامت السفارة الفرنسية بابلاغ عن مرور لينين عبر ألمانيا. ولم تصم وزارة الخارجية آذانها عن هذه التحذيرات: فقد أصدر نائب ميليوكوف أمره بنشر أخبار وصول لينين مع عدم الاشارة الى مصدرها، أى عدم الاشارة الى من الذى أوصى بالبدء فى مطاردة زعيم البلاشفة.

لكن هذا لم يرعب البلاشفة ولم يزعزع عزيمتهم: فحيث أنهم كانوا مسلحين ببرنامج دقيق واضح لينينى، نشروا عملهم على نطاق أوسع بين الجماهير. ورن الصوت البلشفى فى كل مكان: فى المصانع والفابريقات والثكنات وطوابير الخبز والشوارع. وفى خلال أقل من شهرين نما عدد أعضاء الحزب الى ٣ أمثال تقريبا بالمقارنة بعدد اعضائه لدى خروجه من العمل السرى الى العلانية. ولقد شهد هذا النمو باقناع على مدى سرعة استيعاب العمال والكادحين جميعا لافكار لينين.

التحالف لدى السلطة

كان تحالف الاحزاب السياسية فى ادارة شئون الدولة أمرا جديدا بالنسبة لروسيا. فحتى ذلك الحين كانت

البرجوازية تسعد بوجودها تحت جناح النسر الامبراطورى ذى الرأسين: فقد كانت القيصرية تحميها من الهجوم الثورى للجماهير وكانت بيدها القوية توسع لها سوقا خارج البلاد. حقيقة ان البرجوازية كانت تحلم، نظرا لنموها الاقتصادى، بالوصول الى السلطة حتى لا تقتسم ايراداتها مع السلطات القيصـــرية.

اما احزاب البرجوازية الصغيرة فقد كانت تعرف القليل عن وضع سياسى مثل التحالف: فلم يحدث أن سمحوا لهم من قبل بالمشاركة فى السلطة.

على ان سير الصـــراع الطبقى قد أجبر الحكومة البرجوازية على قبول تشكيلة جديدة من السلطة؛ ففى تلك الايام من ابريل اقتنعت البرجوازية بأنها لن تستطيع بمفردها التصرف فى هذا الوضع. فقد أدار الانتصار السياسى المفاجئ عقول زعماء الاحزاب البرجوازية الصغيرة فنسوا انهم قدموا أنفسهم على انهم اشتراكيين ثم دخلوا تشكيل الحكومة البرجوازية التى كانت تنتهج علانية سياسة مناهضة للثورة. وسخر التاريخ منهم: ففى الثورة الروسية الاولى رفض الاشتراكيـــون البرجوازيون الصغار الدخول فى تشكيل الحكومة بزعم عدم امكان أو جواز العمل مع ممثلى البرجوازية. وفى الثورة الثانية دخلوا ضمن تشكيل الحكومة المضادة للثورة. ولم يثر حفيظتهم ان البرجوازية كانت تستجدى العون وحاولت مع ذلك ان تكون الغلبة لها: فقد دخل فى قوام الحكومة الائتلافية ١٠ ممثلين عن الاحزاب البرجوازية و ٦ ممثلين

عن الاشتراكيين البرجوازيين الصغـــار.

وحيث ان الاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة فى روسيا لم تكن لديها خبرة خاصة، لم يكن بوسعها الاسترشاد سوى بالامثلة الغنية جدا من الغرب. فالحكومات التى تشكلت هناك من ممثلى مختلف الاحزاب قد دخلت على نحو راسخ فى الممارسة ابتداء من عام ١٨٤٨، عندما دخل الاشتراكى البرجوازى الصغير لوى بلان ضمن قوام الحكومة البرجوازية فى فرنسا. أضف الى ذلك ان الاشتراكيين الغربيين قد قدموا خبرتهم عن طيب خاطر. ووفدت الى روسيا الوفود واحدا تلو الاخر من فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة الامريكية، وكان الاشتراكيون هم الغالبون فى قوامها. وكانوا يقنعون باصرار فى صوت واحد وينصحون ويلحون على زملائهم الروس باتباع مثالهم وتشكيل حكومة ائتلافيـــة.

والهدف من الائتلاف كما كشفت النقاب عنه الممارسة السياسية الغنية جدا لدى الرأسمالية يتلخص أساسا فى تحقيق مهمتين: أولا: عمل قناع «اشتراكى» لها تستطيع بالتخفى به مواصلـــة سياستهـــا فى الابقـــاء على الرأسمالية وانشاء خـــزان من شأنه ان يعيق غزو ووطأة الموجات الثورية وتهدئة البحـــر الفائر من غضبة الشعب؛ ثانيا: السعى لتحقيق ما لم تستطع هى تحقيقه بأيدى الغير. فالحكومة السابقة التى كانت مشكلة من حزب واحد لم تتمكن من تعبئة الجماهير لمواصلة الحرب، بل نجد على العكس من ذلك ان أول محاولة لذلك كادت ان تحرم البرجوازية من السلطة.

وكان على الاشتراكيين البرجوازيين الصغار الان اقناع الجماهير بمواصلة الحرب. ولم تستطع الحكومة السابقة المشكلة من حزب واحد ان تقنع الفلاحين بالتمهل فى حل المشكلة الزراعية. وأصبح على الوزراء الاشتراكيين الان ان يسعوا لتهدئة الفلاحين وتأجيل حل مسألة الارض، ثم شطبها من جدول الاعمال تماما فيما بعد.

وبدا أن حسابات البرجوازية ومستشاريها الاجانب قد بررت الغرض منها. فقد انكب الاشتراكيون البرجوازيون الصغار على تنفيذ نهج الابقاء على الرأسمالية، كما لو أن ذلك امتنانا منهم لقبولهم فى عداد الوزراء.

وقد مس ذلك كيان الدولة قبل كل شىء. فقد جدت البرجوازية للاحتفاظ بأكبر قدر ممكن على القديم. فقد تم الابقاء على مجلس الشيوخ الذى أدخلت القيصرية فى عضويته أكثر الموالين لها وفاءا. وظلت مراسيم وأوامر الحكومة تصدر باسم مجلس الشيوخ كما كان الحال من قبل. وتم الحفاظ أيضا على دوما الدولة وهو مؤسسة برجوازية اقطاعية منتخبة حسب القوانين القيصرية التى كانت تقيد بحدة تمثيل جماهير الشعب. أضف الى ذلك ان دوما الدولة كان يجتمع فى احيان كثيرة بقوام النواب من كافة دورات الانعقاد، وكان يتدخل بالطبع لصالح البرجوازية فى حل امور الدولة. وكان أنصار الملكية يتحدثون جهارا أثناء هذه الاجتماعـــات مطالبين باتخاذ التدابير الحاسمة لكبح جماح الثـــورة. وتحـــدث الوزراء «الاشتراكيون» والنواب السابقون علانية مرارا أثناء

هذه الاجتماعات الى جانب الملكيين والنواب الاخرين بدوما الدولة ولم يطالبوا قط بحل «شبه البرلمان» القيصـــرى، ومن ثم فقد أيدوا التصور بشرعية وجود هذه المؤسسة.

لقد تمت الاطاحة بالملكية، غير ان حكومة الائتلاف لم تعلن قيام الجمهورية. وتأجلت مسألة شكل الحكم الى انعقاد الجمعية التأسيسية، لكن موعد انعقادها لم يعلن بعد لفترة طويلة. وظلت هيئة الجنرالات القيصرية القديمة عاملة فى الجيش. وظلت القوانين القيصرية سارية فيما عدا استثناء نادر. ويمكن القول عن روسيا فى ذلك الحين انها ظلت ملكية دون ملك.

نجم تقسيم فريد للعمل داخل الحكومة الائتلافيـــة فى حل مسألة الحرب وفى حل المسائل الاخـــرى الجارية سواء بسواء: فقد كان الوزراء الاشتراكيون يتحدثون بينما الممثلون البرجوازيون يتصرفون. وكانت جميع الخطب والكلمات وصحف الاشتراكيين البرجوازيين الصغار مليئة بالشعارات والحجج والمزاعم القائلة بأن طابع الحرب قد تغير، وأن الحرب أصبحت الان ليست من أجل مصالح القيصرية، بل بهدف انقاذ الثـــورة. بل بلغ الامر بالوزراء الاشتراكيين انهم وافقوا على شعار البلاشفة: السلام دون الضم أو التعويضات، وهو الشعار الذى أصبح مطلبا للشعب. ولكنهم حاولوا فى الوقت نفسه تطويعه لخدمة مصالح البرجوازية: فقد عنوا بمطلب الضم تحرير الشعوب التى احتلت أراضيها أثناء الحرب الحالية، وليس الشعوب التى استعبدتها الامبريالية

بوجه عام. وأخذوا يعملون فى الجبهة على عجل لاتمام بناء منظومة المنظمات العسكرية ابتداء من الحلقات الدنيا وانتهاء بالجيوش والاساطيل. وكانت الغلبة فيها للاشتراكيين البرجوازيين الصغار الذين كانوا ينفذون نفس الحملة السياسية لاقناع الجنود بضرورة مواصلـــة الحـــرب.

وفى مسألة تحديد يوم العمل بـ ٨ ساعات، ظل الوزراء الاشتراكيون يؤيدون مواقف البرجوازية، ودعوا الكادحين الى عدم الاصرار على تخفيض طول يوم العمـــل.

أيدت الحكومة الائتلافية مطلب كبار ملاك العقارات والبرجوازية بتأجيل حل المسألة الزراعية الى انعقاد الجمعية التأسيسية. وأخذت ثقة الفلاحين بهذا الاقتراح تتناقص باستمرار، وانتقلت الى الحل الادارى العشوائى لهذه المسألة. وردا على ذلك تشدد قسر الحكومة، وكان الوزراء الاشتراكيون هم الذين يتحملون المسئولية كاملة عن ذلك فقد غطوا سياسة القمع العملية براية الاشتراكيـــة.

أما فى مسألة القوميات فان الحكومة الائتلافية قـــد عارضت حق الامم فى تقرير المصير. كما أنها عارضـــت بحدة التوسع فى حقوقها بوجه عام فى مجال البناء القومى: انتخاب القادة، ادخال اللغة القومية فى المدارس.. الخ. وأبقى الائتلاف فى واقع الامر على «سجن الشعوب» القيصرى، مع تجميلـــه بعض الشىء ليس الا.

كان هـــذا النشاط كلـــه — بل بالاحرى انعدام النشاط — فضحا ذاتيا للحكومة كلها وللوزراء الاشتراكيين بها. فقد

كانت جماهير الشعب العريضة تشعر بحدسها الطبقى ان مصالحها تنطوى فى درج النسيان وان زعماء الاشتراكيين الثوريين والمناشفة يزيدون بعدا عن الكادحين. وجرى التعبير عن الحدس العفوى للجماهير فى الاعمال الواعية فقد أخذوا يسحبون الثقة عن النواب الذين أنهم غير أهل للثقة فى السوفيتات واختيار البلاشفة بدلا منهم. وجرت عملية اعادة انتخاب النواب بسرعة كبيرة فى بيتروجراد.

كان البلاشفة ينطلقون دوما من ان المهمة الاساسية للحزب هى حماية مصالح البروليتاريا والكادحين جميعا من براثن الاستغلاليين. وبعد الاطاحة بالحكم الملكى المطلق ظلت السلطة فى واقع الامر فى أيدى البرجوازية وكبار ملاك العقارات. وقد وجهت اليهم بالذات الضربة الرئيسية للقوى الثورية الان.

الازمة الثانية للسلطة: العمال وحامية العاصمة يؤيدون البلاشفة

كانت البرجوازية تأمل سرا ان تقوم ببدء هجوم الجيش الروسى على الجبهة. وكانت الدول الحليفة تطالب بذلك باصرار اذ انها كانت تمد روسيا بالاموال والسلاح. وخيل للبرجوازية ان هذا الهجوم هو مخرج من الحالة الحرجة فى حالة النجاح او الاخفاق سواء بسواء. فمن شأن نجاح الهجوم ان يؤدى الى توطيد سلطة البرجوازية واستعادة هيبتها فى الجيش. وفى حالة الاخفاق يمكن القاء الذنب

ПРАВДА
ОРГАНЪ

نتيجة لانتصار ثورة فبراير خرج حزب البلاشفة الى العلن واتيحت له الفرصة لاول مرة للعمل علانية. وفى ٥ مارس عام ١٩١٧ أخذت صحيفة «برافدا» تصدر من جديد، وهى لسان حال الحزب بالعاصمة. وكانت قد أغلقت عشية الحرب العالمية الامبريالية «الى الابد» على حد اعتقاد القيصريين.

على خصوم الحرب، أى على البلاشفة. وفى كلتا الحالتين أقاموا حساباتهم لقتل الثورة بالحرب. ودعت الصحافة البرجوازية والبرجوازية الصغيرة فى صوت واحد لاستئناف عمليات القتال. وبينما «المستدرجون الرئيسيون»، وكانت تلك هى التسمية السائدة على لسان الشعب للوزراء الاشتراكيين وحزبهم، يتحدثون ويدعون ويستدرجون كانت قيادة الجيش قد نزعت

سلاح الافواج المشكوك فى ولائها والقت القبض على الدعاة البلاشفة أو المتعاطفين معهم وقدمتهم الى المحاكمة لمطالباتهم بعدم استئناف الحرب، واعادة النظر أيضا فى خطط العملية العسكرية الجارى الاعداد لها.

كانت البرجوازية تدرك انها لن تتمكن بالقوة وحدها من ارغام الجنود على استئناف الحرب. وأعد كيرينسكى الذى عين وزيرا للحربية أمر الهجوم سلفا. ولكنه لم يشر الى موعد بدء الهجوم. وكان يود ان يصادق المؤتمر الاول للسوفيتات لعموم روسيا المنعقد فى ٣ يونيو على قراره.

حضر المؤتمر اكثر من ١٠٠٠ مندوب كان بينهم ١٠٥ شيوعيين. وبعث نحو ٤٠٠ سوفيت لنواب العمال والجنود والفلاحين بمندوبين لها فى المؤتمر. وكان قرار واحد من المؤتمر يكفى لكى تنتقل السلطة الى السوفيتات. وهذا بالذات هو ما اقترحه البلاشفة. ولكن زعماء الاحزاب التوفيقية عارضوا بعناد واصرار مؤكدين الزعم باستحالة ادارة شئون البلاد بدون البرجوازية. بل بلغ الامر بأحد الوزراء الاشتراكيين ان أعلن انه لا يوجد فى البلاد بوجه عام أى حزب يستطيع الموافقة على ان يأخذ على عاتقه ادارة شئون الدولة.

وعارضه فلاديمير لينين من مكانه فى القاعة كمندوب بالمؤتمر بقوله: «بل هذا الحزب موجود!» وبعد ان أخذ الكلمة قال ان البلاشفة على استعداد لتولى السلطة اذا عهدوا بها اليهم. ثم لخص برنامج الحزب الذى نشروا الدعاية له بين جماهير الشعب. وتحدث لينين للمرة

الثانية أثناء المؤتمر فتناول مسألة الحرب ففضح مخططات البرجوازية وعارض بصفة قاطعة الهجوم الجارى الاستعداد له.

وتحدث زعماء الاحزاب التوفيقية واحدا وراء الاخر فعارضوا لينين، متجاهلين اعتبار ان وفرة الاعتراضات تتحول الى نقيضها: فقد أعمل المندوبون العاديون البسطاء فكرهم رغما عنهم فى أفكار لينين التى تحدث الزعماء ضدها بهذه الحمية على امتداد هذا الوقت الطويل كله. وبعد المؤتمر انتقل عدد كبير من الاشتراكيين الثوريين والمناشفة العاديين الى صفوف البلاشفة بعد ان أقنعهم لينين.

ومع ذلك تمكن التوفيقيون من تمرير قرار يبارك الائتلاف مع البرجوازية ويقر بسلامة سياسة الحكومة المؤقتة.

وفدت وفود غفيرة من عمال وجنود العاصمة الى المؤتمر. وبعد أن حيت المندوبين أخذت تقنع المؤتمر بحماس واصرار لكى يوافق على نقل السلطة الى السوفيتات. وظهر جليا للعيان الاختلاف فيما بين أمزجة الجماهير وبين قرارات المؤتمر. وأخذ الاستياء العفوى فى الزيادة المستمرة. وترددت مطالب الخروج الى الشوارع احتجاجا. وهذا بالذات ما كان يسعى رجالات البرجوازية الى تحقيقه: فقد كانوا يعقدون الامل على استغلال الاعمال العفوية لكى يقمعوا الحركة الثورية. وقرر البلاشفة تحويل الاستياء المتنامى عفويا بين جماهير الشعب الى مظاهرة سلمية منظمة لتبيان ان قرارات المؤتمر متباينة عن أمزجة وآمال الكادحين بالعاصمة.

وحدد العاشر من يونيو لمسيرة المظاهرة. وكتبت الصحف

عنها. وكان مندوبو المؤتمر أيضا يعرفون أمر المظاهرة. واعدت الملصقات والرايات فى المصانع والفابريقات وأفواج الحامية.

غير انه فى مساء التاسع من يونيو، أى قبل عدة ساعات فقط من بدء المظاهرة، طالب زعماء الاحزاب التوفيقية بالغاء المظاهرة. وحاولوا اثبات الزعم بأن البلاشفة يدبرون «مؤامرة» من وراء ظهر المؤتمر بهدف الاستيلاء على السلطة. أما فى واقع الامر فلم تطرح أية منظمة للبلاشفة أو أية جماعة منهم اقتراح الاستيلاء على السلطة. ان الذى دبر المؤامرة ليسوا هم البلاشفة، وانما اعدتها البرجوازية وزعماء التوفيقيين الذين طالبوا علانية بنزع سلاح البلاشفة وتسريح مفارز الحرس الاحمر التى تكونت فى الفابريقات والمصانع للدفاع عن الثورة. وفى غيبة البلاشفة قررت لجنة انشأها المؤتمر خصيصا من ممثلى الاحزاب البرجوازية الصغيرة حظر هذه المظاهرة.

وافق البلاشفة على الانصياع لقرار مؤتمر السوفيتات. وطاف أعضاء اللجنة المركزية وأعضاء المنظمات البلشفية على المصانع والفابريقات والافواج طوال ليل التاسع من يونيو فى محاولة لاقناع العمال والجنود بعدم الخروج فى المظاهرة. وفى العاشر من يونيو لم تخرج أية منشأة أو وحدة عسكرية الى الشارع. وكان هذا دليلا مقنعا ساطعا على مدى التأثير الكبير للبلاشفة فى العاصمة. وكان ذلك أيضا استعراضا لدرجة تنظيم الحزب البلشفى.

أنشأ القائمون على أمر المؤتمر دون ثقة بالبلاشفة بضع

عشرات من المجموعات الخاصة. وعهدت الى هذه المجموعات بالطواف على الافواج ومنشآت العاصمة والتأكد من تنفيذ قرار حظر المظاهرة من عدمه. وقام اكثر من ٢٠٠ مندوب، حيث ان كل جماعة كانت تضم ١٠ مندوبين فأكثر، بتفقد المنشآت والافواج ورأوا باندهاش ان البلاشفة كانوا قد سبقوهم الى هنا واقنعوا الناس بالانصياع لقرار المؤتمر. لكن هؤلاء اقتنعوا ليس فقط بانصياع البلاشفة لقرار المؤتمر، بل تعرفوا أيضا على المزاج الحقيقى للجماهير: فقد تحدث الناس فى كل مكان عن عدم موافقتهم على القرارات التوفيقية للمؤتمر وأصروا على نقل السلطة الى السوفيتات. وخوفا من فقد التأثير على الجماهير تماما قررت هيئة رئاسة المؤتمر تنظيم المظاهرة، ولكن تحت اشرافها.

وحدث المظاهرة فى الثامن عشر من يونيو. خرج الى الشارع نحو ٥٠٠ ألف فرد. وسارت الغالبية العظمى من المتظاهرين تحت الشعارات البلشفية «كل السلطة للسوفيتات!» وسارت مجموعة صغيرة من مندوبى المؤتمر والتوفيقيين تحت لافتته عليها شعار «منح الثقة للحكومة!». وبلغ الامر ان اعترفت «ايزفيستيا سوفيت بيتروجراد»، وهى الجريدة الرسمية التى كانت فى أيدى التوفيقيين؛ اعترفت بأن المتظاهرين ساروا تحت الشعارات البلشفية.

سارت المظاهرات أيضا فى موسكو ومينسك وكييف وريجا وكراسنويارسك والمدن الاخرى. كانت أقل عددا منها فى العاصمة، ولكنها سارت تحت الشعارات البلشفية أيضا.

وهيأت مظاهرات يونيو الازمة الثانية للسلطة. فقد اقتنعت الجماهير العريضة من الجماهير من الممارسة العملية بأن الحكومة الائتلافية أيضا لم تنجح فى ادارة أمور البلاد. فلم تحل مسألة حيوية واحدة سواء مشكلة الحرب أو مسألة الارض أو كبح جماح النهب والسلب البرجوازى أو القضاء على شبح المجاعة.

كما تم أيضا فضح محاولة التوفيقيين للسير على خط خاص بهم «خط ثالث» لا برجوازى ولا بروليتارى. ولا يمكن ان يكون هناك خط ثالث فى الصراع الطبقى البالغ الضراوة: فلم يكن الاشتراكيون الثوريون والمناشفة يريدون الاعتراف بالبروليتاريا وحزبها أو تأييدها وأخذوا يزحفون خطوة وراء أخرى الى مواقع البرجوازية.

ان احداث يونيو قد بينت للعيان صحة سياسة البلاشفة. وتكاتف الكادحون فى العاصمة حول حزب البلاشفة تعبيرا عن النصر المحتوم لقيادتهم فى سائر انحاء البلاد.

الازمة السياسية الثالثة: استيلاء البرجوازية على السلطة بأكملها

لم يتم اختيار يوم ١٨ يونيو لاجراء المظاهرة بمحض الصدفة. فقد كان من المحدد القيام فى هذا اليوم بالهجوم على الجبهة: فقد حاولوا بالمظاهرة باسم المؤتمر وقراراته مباركة المخطط الاثم لقمع الثورة بالحرب.

لقد تحدث الائتلاف الحاكم وكتب طويلا عن الهجوم المرتقب. وكانوا قد اجهدوا الجنود وأضنوهم بالمؤتمرات الخطابية والمحاولات اللامتناهية لاقناعهم. أما عن الاعداد العسكرى الفنى للهجوم فلم يكن كافيا بحال. فقد اقتصرت قيادة الجيش فى حقيقة الامر على الخطة القديمة للهجوم وكان الجواسيس قد أبلغوا الخصم بها منذ وقت بعيد ومن ثم جاء بامدادات فى الوقت المناسب. وبدأت جيوش الجبهة الجنوبية الغربية الهجوم. وفى الثامن عشر من يونيو اخترق ٣٠٠ ألف جندى جبهة العدو على امتداد ٧٠ كيلومترا. غير ان الخصم كان أفضل تسليحا واستعد فى الوقت المناسب فانتقل الى الهجوم المضاد وأجهض نجاحات الجيش الروسى.

ومن الجدير بالذكر ان القيادة قد زجت فى المعركة بالفرق التى زاد فيها تأثير البلاشفة. وهذا يؤكد من جديد ان الهجوم كان هدفه قمع الثورة، والبلاشفة فى المقام الاول بوصفهم قوتها الرائدة. وكتبت صحيفة «ريتش» لسان حال الكاديت باستهتار: «لعله ليس هناك شك فى ان الهجوم سوف ينزل بالعدو الداخلى — البلشفية ضربة لا تقل عن مثيلتها بالعدو الخارجى».

وبمجرد تلقى الانباء عن احباط الهجوم على الجبهة، بدأت البرجوازية فى تنفيذ مخططها المحسوب لحالة الاخفاق العسكرى. وأعلن الكاديت — وكأن هناك تواطؤ متفق عليه — عن انسحابهم من تشكيل الحكومة. وكانت الخطة تهدف الى ترك الوزراء الاشتراكيين وحدهم لدى مقود السلطة. وحيث ان البرجوازية

كانت تعرف ان التوفيقيين يخشون تحمل مسئولية ادارة شئون الدولة مثل خشيتهم النار، وانهم لن يرغبوا فى البقاء وحدهم فى السلطة، فقد عولت على اعادة ممثليها الى الحكومة التى حققت قبول التوفيقيين لشروطها: احراز السلطة بأكملها وابعاد السوفيتات عن التأثير على شئون الدولة وقمع البلاشفة بصورة رئيسية.

وبحلول شهر يوليو تغير الوضع فى البلاد بحدة. فابان فترة الحكومة الائتلافية زاد الدمار الاقتصادى. وكان هناك نقص كبير فى المواد الغذائية. وارتفعت أسعار المواد الغذائية والسلع الاستهلاكية. ولم تسعف الاجور فى اللهث وراء ارتفاع الاسعار. واقتربت المجاعة حثيثا. واستمرت القيمة الفعلية للنقود فى الهبوط وكانت ماكينات الطباعة لا تسعف فى اصدار النقود الورقية اذ أصبحوا يصدرونها فى صفحات كاملة ثم تقطيعها الى اجزاء صغيرة اى الى عملات ورقية فئة كل منها ٢٠ أو ٤٠ روبلا. وأطلق الشعب فى احتقار تسمية كيرينسكى على هذه النقود حيث انه كان رئيسا للوزراء آنذاك. ولعل أهم ما فى الامر هو ان الحرب التى وعدوا بانهائها قد استؤنفت من جديد جالبة الكثير من الضحايا الجدد ومشددة من المعاناة والالام التى لا تحتمل بالنسبة لجماهير الشعب.

أدى تزايد الصعاب والهبوط المأساوى الذى وصل الى حد الكارثة فى مستوى المعيشة الى زيادة الوعى السياسى لدى الشعب اذ ان هذا الوعى ينضج أثناء الثورة بالساعات

وليس بالايام. وانتشر خبر خروج الكاديت من الحكومة بسرعة كبيرة فى العاصمة. وقال المشاركون فى اللقاءات الخطابية التى ظهرت بصورة عفوية فى الفابريقات وأفواج الحامية ان «الكاديت يعكرون الماء من جديد».

وفى مساء الثانى من يوليو انعقد فى فوج الرشاشات الاول مهرجان خطابى شارك فيه العمال والجنود القادمين من الجبهة. وكان الاجتماع عاصفا. ودعا الجنود الى الاطاحة بالحكومة ونقل السلطة بالكامل الى السوفيتات. وأيد الحاضرون الخطباء بالتصفيق المتواصل وأعلنوا: «يسقط الوزراء الرأسماليون!» وبذل البلاشفة جهدا كبيرا لتهدئة الجنود. وصدر قرار البلاشفة بالاحتجاج على سياسة الحكومة المؤقتة. غير ان القرار لم يرض الجنود الثائرين. وجرت الاجتماعات طوال الليل فى الثكنات واستمرت المناقشات والمجادلات الحامية. ودعا المتحدثون الى اسقاط الحكومة.

وفى صباح الثالث من يوليو اجتمع الفوج كله فى مهرجان خطابى جديد. وتقرر دعوة جميع أفواج الحامية وعمال العاصمة للعمل ضد الحكومة. وشكلوا عدة وفود على الفور وأرسلوها الى الافواج والمصانع. وأرسلوا أحد هذه الوفود الى كرونشتادت.

كان البلاشفة ضد هذا العمل. فقد كان بدء الانتفاضة دون تأييد من جانب البلاد كلها والجيش فى عداد المغامرة. وقد أظهر مؤتمر السوفيتات لعموم روسيا الذى انتهى مؤخرا ان غالبية الكادحين والجيش لا تثق بالتوفيقيين. وقررت اللجنة المركزية لحزب البلاشفة منع الجماهير من المشاركة فى

المظاهرات. وطاف ممثلو البلاشفة على الافواج والمصانع. كانوا يستمعون الى البلاشفة، لكن دون الموافقة على ما يقولونه. فقد كان العمال يقولون لهم: «نحن نثق بكم ونصدقكم، ولكن ليس لدينا صبر للانتظار: فالحياة لا تطاق...».

واقتنع البلاشفة بأنهم لن يتمكنوا من منع الجماهير من الانتفاض فقرروا أن يترأسوا عملهم هذا مع تحويله الى مظاهرة سلمية منظمة تحت شعار «السلطة كلها للسوفيتات!».

لم يكن فلاديمير لينين موجودا بالعاصمة لمرضه، ولكنه وصل الى بيتروجراد بمجرد سماعه بالاحداث. وبارك قرار اللجنة المركزية للبلاشفة.

وفى صباح الرابع من يوليو بدأت المظاهرة التى شارك فيها اكثر من ٥٠٠ ألف نسمة. وبعث المتظاهرون ٩٠ ممثلا فى وفد الى اللجنة المركزية التنفيذية بمطلب نقل السلطة بكاملها الى أيدى السوفيتات. غير ان الاشتراكيين الثوريين والمناشفة قد اتفقوا مع الحكومة على فض المظاهرة بالقوة. وصدر الامر باستدعاء القوات التى تثق بالحكومة المؤقتة من الجبهة. وأطلق طلبة الكليات العسكرية والقوزاق النار على المتظاهرين فى بعض أحياء المدينة.

وبدأت القوات القادمة والقوزاق وطلبة الكليات العسكرية أعمال العنف والتنكيل. وأعلنت الاحكام العرفية فى المدينة. وبدأت عمليات اعتقال قادة البلاشفة. وداهم أفراد حملات التأديب مبنى المطبعة التى كانت تطبع فيها جريدة البلاشفة «برافدا». وداهموا أيضا المنزل الذى كان مقرا للجنة المركزية

سرت فى كافة انحاء روسيا موجة من المظاهرات الغفيرة العدد الموجهة ضد الحكومة البرجوازية المؤقتة التى أعلنت عن استعدادها لمواصلة الحرب «حتى النصر». وفى ١٨ يونيو عام ١٩١٧ نظمت فى بيتروجراد مظاهرة شارك فيها نصف مليون عامل وجندى تحت الشعارات البلشفية: «تسقط الحرب!»؛ «كل السلطة للسوفيتات!»؛ «يسقط الوزراء الرأسماليون!».

للبلاشفة. وأمرت الحكومة تسريح الافواج التى شاركت فى مظاهرات الثالث والرابع من يوليو.

كانت المظاهرات الغفيرة فى يومى ٣، ٤ يوليو هى آخر محاولة لتحفيز انسوفيتات للاستيلاء على السلطة. واستقبلت الحكومة المؤقتة المشتركين المسالمين فى المظاهرة بطلقات البنادق.

شمل التنكيل الجيش أيضا. وادخل العمل بعقوبة الاعدام على الجبهة. وتم تسريح الافواج بل والفرق أيضا التى ارتأت القيادة ان للبلاشفة تأثير عليها. واصدرت السلطات فى بيتروجراد أمرا باعتقال فلاديمير لينين. وتبريرا لهذا القرار نشروا أقوال احد الاستفزازيين بزعم ان زعيم البلاشفة له علاقة بالاركان العامة الالمانية ويعمل بتعليمات منها. واضطر لينين الى الاختفاء والعمل سرا.

قيمت البرجوازية سياسة التوفيقيين على نحو سليم: فقد قبل زعماء الاشتراكيين الثوريين والمناشفة شروطها، وأيدوا بعد أيام يوليو بالذات أخذت غالبية الشعب الكادح تنتقل الى جانب البلاشفة الذين ساروا بثبات على خط الثورة الاشتراكية. وزادت حدة الوضع السياسى فى البلاد.

الحكومة وانتقلو الى الثورة المضادة. كذلك نفذ الاشتراكيون الثوريون والمناشفة مطلب البرجوازية بازاحة السوفيتات عن السلطة: فلم يسرحوا السوفيتات كما كان الكاديت يطالبون، ولكنهم حولوها الى تابع لحكومة الثورة المضادة. وظلت الحكومة الجديدة تسمى بالحكومة الائتلافية كما كان الحال من قبل، اذ كان هناك ٧ من الاشتراكيين الثوريين والمناشفة بين اعضائها البالغ عددهم ١٥ عضوا. ومع ذلك فقد كانت حكومة موحدة للثورة المضادة: ففى الائتلاف السابق كانت البرجوازية تحكم بمساعدة أحزاب البرجوازية الصغيرة. أما الان فقد أصبحت تحكم مع زعماء الاشتراكيين الثوريين والمناشفة. وانتقلت السلطة بالكامل الى أيدى البرجوازية. وانتهى ازدواج السلطة.

٣ — الهجوم على حكومة الثورة المضادة

البرجوازية تشعل نيران الحرب الاهلية

بعد أن استولت البرجوازية على السلطة وضعت نصب أعينها مهمة القضاء على منجزات الثورة. وامتنع الرأسماليون قطعيا عن تطبيق تحديد يوم العمل بـ ٨ ساعات، وأخذوا فضلا عن ذلك يخفضون من الاجور والتى كانت غير كافية دون ذلك للوفاء باحتياجات المعيشة. فنظموا اغلاق فروع بأكملها من الصناعة وفصل العاملين بها. وزاد باستمرار عدد العاطلين عن العمل. وتدهور وضع البروليتاريا بحدة.

وتجرأ كبار الملاك فى الريف. فقد تمكنوا بأوامر من الجيش من انتزاع قطع الارض التى كانت خالية من أيدى الفلاحين والتى زرعوها الان، ورفع كبار الملاك القيمة الايجارية للارض. وألقى القبض على كثير من أعضاء لجان الارض.

وحلت النزاعات القومية واحدا تلو آخر. فقد دب الخلاف تارة مع الاوكرانيين الذين حظروا عليهم انشاء اجهزتهم القومية للادارة، وأغلقوا السيم الفنلندى تارة أخرى...

وتعلمنا خبرة التاريخ ان البرجوازية كانت تحكم دائما

بالوعيد والترغيب. فبينما كانت تقوم بهجوم ضار على حقوق الشعب كانت تقوم فى الوقت نفسه بتمويه اهدافها الحقيقية بطائفة من التنازلات. ووعدت الحكومة بدعوة الجمعية التأسيسية للانعقاد، بل انها حددت لذلك السابع عشر من سبتمبر. وأقرت قانون حظر بيع وشراء الارض. ووضعت الحكومة فى الاعتبار المطالب العامة بفرض الرقابة العمالية على الصناعة فأقدمت على تنظيم مجلس اقتصادى خاص ولجنة اقتصادية رئيسية بهدف تنظيم الانتاج. لكن هذه التنازلات كلها كانت حبرا على ورق لم تحسن قيد ذرة من الوضع العصيب للجماهير.

غير أن البرجوازية فى هجومها على الكادحين لم تضع فى حسبانها قوة مقاومة الجماهير ولا الوعى السياسى المتنامى لها ولا درجة تنظيمها. وأخطأت البرجوازية الحساب أيضا فى تقييم البلاشفة: فقد افترضت أو اعتقدت بأن الحزب قد تحطم واعلنت عدم شرعيته وفقد هيبته وقطعه عن الجماهير.

لم يعرف البلاشفة مثل هذا الانحسار فى صفوف حزبهم كذلك الذى حدث للاشتراكيين الثوريين والمناشفة والاحزاب السياسية الاخرى فى حالات الاخفاق والهزائم. بل على العكس من ذلك انضم الى الحزب فى فترة الملاحقة نشطاء جدد من وسط العمال الذين كانوا على قناعة بصحة سياسة الحزب والثقة بالبروليتاريا. ولقد كان هناك أثر فى ذلك لطابع الحزب الجديد الطراز والاختيار الطبقى الجدير لدى القبول

فى عضوية الحزب والدرجة العالية من الانضباط والتنظيم. وبينما كان البلاشفة فى المعتقلات ظلوا محتفظين بايمانهم بانتصار قضية البروليتاريا وبدرجة تنظيمها أيضا. فقد كان فى سجن مدينة مينسك مثلا نحو الفى بلشفى معتقل. وعندما بدأت انتفاضة اكتوبر خرجوا من السجن كفوج منظم وشاركوا فى المعارك لصالح الثورة. أما سجن مدينة دفينسك فقد كان به مئات الجنود أعضاء لجان الجيش الدين اعتقلوا بعد أيام يوليو. ونقلوهم فى وقت لاحق الى معتقل بوتيـــر فى موسكو فكونوا اكثر الوحدات القتالية نشاطا أيام ثورة اكتوبر. وحيث ان المحن التى كانت من قدر البلاشفة بعد أيام يوليو قد صقلتهم فقد تمكنوا من النجاة بقواهم وتفادى الضربة الموجهة اليهم وظلوا محتفظين بصلاتهم مع الجماهير ومساعدتها فى صد غزو البرجوازية.

على ان الوضع الجديد فى البلاد قد تطلب تكتيكا جديدا. وعكف المؤتمر السادس لحزب البلاشفة على وضع هذا التكتيك. وكان المؤتمر قد انعقد فى بيتروجراد فى الفترة من ٢٦ يوليو حتى ٣ أغسطس عام ١٩١٧. كان المؤتمر يعمل فى صفة شبه رسمية. لم يكن لينين موجودا بالمؤتمر لكنه كان يشرف عليه فعليا وكان يصوغ القرارات ويكتب مشروعاتها. وكان ممثلا بالمؤتمر اكثر من ١٦٠ منظمة تضم فى صفوفها ٢٤٠ ألفا من أعضاء الحزب. فخلال الشهور الثلاثة التى انقضت بعد مؤتمر الحزب فى ابريل زاد تعداد أفراده ٣ أمثال. وكان العمال يمثلون اكثر من ٦٠٪ منهم. وكان فى بيتروجراد

٤١ ألف شيوعى وفى موسكو ومقاطعتها ٥٠ ألفا وفى الاورال ٢٥ الفا وفى الدونباس ١٦ ألفا ومنطقة ساحل البلطيق ١٤ ألفا وحوض الفولجا ١٣ ألفا وفى منطقة كييف ١٠ آلاف شيوعى.

وكانت المسألة الاساسية المراد حلها أثناء المؤتمر هى المسألة الخاصة بالتكتيك. وجاء التأكيد فى قرارات المؤتمر على ان ازدواج السلطة فى البلاد قد انتهى، وان السلطة بالكامل قد انتقلت الى البرجوازية. وانتقل الاشتراكيون الثوريون والمناشفة الى معسكر البرجوازية وشنوا معها العمل ضد الثورة. وفى هذه الظروف لم يعد شعار البلاشفة «كل السلطة للسوفيتات!»، والذى كان شعارا للتطور السلمى للثورة، متمشيا مع مصالح الشعب ومهام تطور الثورة. لكن سحب هذا الشعار لم يكن معناه العدول عن السوفيتات كشكل جديد لسلطة الدولة. وكان المقصود آنذاك ان السوفيتات بقوامها الذى كانت عليه آنذاك تحت قيادة المناشفة والاشتراكيين الثوريين الذين لطخوا أيديهم بدماء الشعب، لا يمكن أن تكون جهازا لسلطة الشعب.

اتخذ حزب البلاشفة نهج الانتفاضة المسلحة بهدف نقل السلطة الى الكادحين. وكتب فلاديمير لينين فى تلك الايام: «لقد اختفت نهائيا أية آمال للتطوير السلمى للثورة الروسية. فالوضع الموضوعى يقول: اما انتصار الديكتاتورية العسكرية الى النهاية، واما انتصار الانتفاضة المسلحة للعمال، وهما أمر لا يتأتى الا فى حالة توافقه مع المد الجماهيرى العميق

ضد الحكومة وضد البرجوازية على ضوء الدمار الاقتصادى وتسويف الحرب».*

على ان انتصار البرجوازية فى مسألة الاستيلاء على السلطة وانتقال الاحزاب البرجوازية الصغيرة الى جانبها بصفة نهائية لم يستمر طويلا. فقد كانت الحكومة تزداد قناعة فى كل خطوة بانه لم يتم قمع الثورة. فالحرب المستمرة كانت تلتهم كافة الموارد. وكان السكان يعانون المجاعة. وأخذوا فى الاوساط الحكومية يقتنعون بفكرة تطبيق الديكتاتورية العسكرية. وحدد الجنرال دينيكين، وهو من أنشط رجالات الثورة المضادة، مزاج الطبقات المتسيدة بقوله «ان البلاد تبحث عن اسم». وغير الصحيح فى قول الجنرال هو تسمية الباحثين: فلم تكن البلاد هى الباحثة، بل كانت الثورة المضادة تبحث عن ديكتاتور. وكان كيرينسكى هو المرشح لذلك فى بادئ الامر. فقد كان يخدم البرجوازية باخلاص ونكل بالمشاركين فى أحداث يوليو وأدخل نظام الاعدام على الجبهة تحت اصرار الجنرالات. لكن البرجوازية لم تستطع أن تغفر له اتصالاته مع الاشتراكيين الثوريين وتأرجحه وفضلت عليه «رجل السيف»: وأخذوا يعدون الجنرال كورنيلوف للقيام بدور الديكتاتور وذلك عن طريق تعيينه بصفة مبدئية قائدا عاما أعلى. وكان من المعتزم تتويج الديكتاتور فى اجتماع الدولة الذى سيدعى خصيصا فى موسكو فى الثانى عشر من أغسطس من ممثلى كافة الفئات الغنية من السكان.

---

*فلاديمير لينين. المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٤، ص ٢.

وبهدف اضفاء مزيد من الاهمية السياسية على اجتماع الدولة قررت الحكومة المؤقتة بموافقة زعماء الاشتراكيين الثوريين والمناشفة تأجيل انتخابات الجمعية التأسيسية لمدة شهرين، أى من السابع عشر من سبتمبر الى الثانى عشر من نوفمبر.

لم يسمحوا للبلاشفة بحضور الاجتماع. ولم ترغب اللجنة المركزية التنفيذية للسوفيتات ان يتحدث المندوبون البلاشفة ضد اجتماع الدولة. ودعت اللجنة المركزية للبلاشفة الحزب الى فضح مخطط البرجوازية. وقررت منظمة موسكو تنظيم اضراب ليوم واحد احتجاجا دون تظاهر، لانه كان بامكان الثورة المضادة اطلاق النار عليها كما حدث فى أيام يوليو.

وفى يوم افتتاح الاجتماع سرى الاضراب وشارك فيه أكثر من ٤٠٠ ألف شخص. وأضربت كافة مفارز العمال فى مجال التعدين والنسيج والصناعات الكيميائية والغذائية. وتوقفت مركبات الترام عن الحركة. واضرب السفرجية فى المطاعم. واضطر مندوبو اجتماع الدولة الى السير على الاقدام على الرغم من ان السلطات بموسكو قد صرفت لهم تذاكر مجانية، وظلوا دون غذاء على الرغم من الولائم التى وعدوهم بها.

واحبط الاضراب العام فى موسكو تتويج الديكتاتور. ووصل الجنرال كورنيلوف الى موسكو حيث نظموا له استقبالا حافلا، ولكنه رحل عنها قبل انتهاء الاجتماع بعد ان زاد حنقه لانتفاض العمال.

واصلت الثورة المضادة التى أعمتها الكراهية الاعداد بعناد للانقلاب. وكان مركزها هو القيادة العليا حيث عكف الجنرال كورنيلوف وأركانه على اعداد خطة التمرد. وكان من المفروض أن يرسلوا الى بيتروجراد فيلق الخيالة الذى كانت ضمن قوامه وحدات القوزاق وما يسمى بالفرقة المتوحشة المشكلة من الشعوب التى كانت تسكن شمال القوقاز وغير ملمة باللغة الروسية وكانت تثق بقيادتها ثقة عمياء. وكلف الفيلق بمهمة قمع «الانتفاضة البلشفية» التى كان من المفروض استفزازها على أيدى عملاء الثورة المضادة. وبالاضافة الى فيلق الخيالة تم اعداد الوحدات العسكرية فى الجبهات القريبة من العاصمة: الجبهة الشمالية والجبهة الغربية، وكذلك فى كييف وموسكو وحوض الدون. وكان من المعتزم ان يحركوا نحو بيتروجراد جيشا كاملا أى اكثر من ١٠ فرق مشاة وخيالة. وكان من المعتزم بعد قمع الانتفاضة المستفزة فى العاصمة تشكيل حكومة الديكتاتورية العسكرية برئاسة الجنرال كورنيلوف لقمع الثورة فى كافة انحاء البلاد وحل السوفيتات وسائر المنظمات الديمقراطية واعلان عدم شرعية البلاشفة واعدام قادتهم واعادة الملكية فى روسيا.

وبعد أن تأكد كورنيلوف من انتهاء اعداد فيلق الخيالة واقترابه من بيتروجراد أمر جميع الوحدات التى تم اعدادها ببدء التمرد. وفى ليلة السابع والعشرين من أغسطس وقع كورنيلوف «بيان الى الشعب الروسى» وأعلن انه تولى السلطة.

كان كيرينسكى على علم بمخططات الثورة المضادة وساعد فى تحقيق هذه المخططات على أمل الابقاء عليه فى رئاسة الوزارة. ولكن عندما عرف انهم تخطوه، وخوفا من ان تنكل الثورة المضادة ليس بالبلاشفة وحدهم، بل وبحزبه وبه هو نفسه، قرر الانسحاب من اللعبة بل بلغ به الامر انه دعا الى مكافحة أنصار كورنيلوف.

خاض الكادحون نضالا حقيقيا ضد الثورة المضادة. وأثار تمرد كورنيلوف استياء جماهير الشعب بوجه عام. وبناء على نداء البلاشفة من عمال بيتروجراد تم على عجل تشكيل مفارز الحرس الاحمر وتحركت لملاقاة وحدات الثورة المضادة. وفى كافة المدن الواقعة على طريق تحرك أنصار كورنيلوف جرى تكوين اللجان الثورية العسكرية وتشكلت الوحدات الثورية على عجل. وتم سحق التمرد فى بدايته. وأجبرت الجماهير الثائرة حكومة كيرينسكى على اعتقال الجنرال كورنيلوف واقرب اعوانه. وانتحر الجنرال كريموف قائد فيلق الخيالة ومن ثم اعترف بالانهيار التام للثورة المضادة.

وضع فلاديمير لينين فى الاعتبار مد الحركة الشعبية وعمل كثير من السوفيتات ضد كورنيلوف، واقترح على الاشتراكيين الثوريين والمناشفة اعطاء السلطة للسوفيتات. ولكنهم رفضوا هذه الفرصة الاخيرة لانتقال السلطة سلميا الى السوفيتات.

كان المخرج الوحيد من الوضع الناجم هو اسقاط الحكومة المؤقتة عن طريق الانتفاضة المسلحة واقامة ديكتـــاتورية البروليتاريا. وفى الحادى والثلاثين من أغسطس أصدر سوفيت

بيتروجراد قرارا بلشفيا بضرورة نقل السلطة الى السوفيتات. وفى الخامس من سبتمبر أيد سوفيت موسكو قرار البلاشفة. وانضم اليه كثير من السوفيتات المحلية. وبدأت بلشفتها فى سائر انحاء البلاد.

الثورة ليست حتمية فحسب، بل وضرورية أيضا

غيرت زمرة كورنيلوف من الوضع العام بحدة فى البلاد. وقد تبدى ذلك بوجه خاص فى تغيير أشكال نضال الكادحين والجماهير المطحونة. وفى طائفة من الاماكن طرد العمال أصحاب المنشآت وتولوا ادارتها بأنفسهم. وتكونت فى المصانع المدارة تحت اشراف العمال لجان خاصة من العمال وكانت فى كثير من الاحوال بمشاركة المتخصصين الفنيين. فنظمت الانتاج ودبرت الاموال والخامات اللازمة وأقامت الصلات مع ما يلزم من المنشآت.

وتغيرت أيضا أشكال نضال الفلاحين. فقد أدرك فقراء الفلاحين ان انتصار زمرة كورنيلوف من شأنه أن يؤدى الى ترسيخ سلطة كبار ملاك العقارات، وهذا معناه انتهاء كافة الامال للحصول على الارض. وحيث كان الفلاحون فى قلق وفزع من هذا المستقبل المنظور وحيث كانوا فى غضب من الحكومة التى كانت تؤيد كبار الملاك وتشجعهم والتى لم تكن راغبة تماما فى البدء فى حل مسألة الارض، فقد زاد باستمرار استيلاؤهم على ضياع كبار الملاك وطرد كبار

الملاك منها وتوزيع الارض والادوات الزراعية فيما بينهم.

أما فى الجيش فقد طرد الجنود القادة الرجعيين وانتخبوا قادة جدد بدلا منهم ممن حازوا ثقتهم. ورفض الجنود الاستمرار فى الحرب. وغادروا الخنادق فى تشكيلات بأكملها لاعنين الحرب السئيمة.

وتغير كذلك طابع الحركة بين الامم المقهورة. فقد كان يظهر فيها اتجاهان باستمرار: الاتجاه البرجوازى الذى طمحت البرجوازية القومية المقهورة فى ظله الى التخلص من تسيد أمة الدولة العظمى حتى تقوم بنفسها باستغلال الكادحين دون اقتسام ايراداتها مع الامة القاهرة. وكان الاتجاه الثانى هو الاتجاه الثورى الديمقراطى الذى عمل فى ظله الكادحون فى الامة المقهورة ضد الاستغلال من جانب برجوازيتها وضد الاستغلال الغريب سواء بسواء. وبعد حركة كورنيلوف أخذت البرجوازية القومية التى كانت تؤيد الحكومة قبل ذلك الحين، أخذت تنتقل حثيثا الى الاقتناع بأن حكومة عموم روسيا لن تفلح مع الثورة. فقد أخذت النزعات الانفصالية تتقوى وحاولت البرجوازية القومية المحلية ايجاد حماة اجانب لها حتى تستطيع الاحتفاظ لنفسها بالسلطة والكفاح معه ضد الثورة. ونشطت الحركة الثورية الديمقراطية: فقد أخذ الكادحون فى المناطق القومية يقتنعون بأن حل المشاكل الاجتماعية والقومية لا يتأتى الا فى الكفاح المشترك الى جانب الحركة الثورية لعموم روسيا. وأخذ النضال الوطنى التحررى يصب كسيل عارم جبار فى مجرى ثورى عام.

ولم تعد الثورة أمرا محتوما بل أصبحت امرا ضروريا أيضا. لم يكن هناك طريق اخر لذلك. فقد كانت الاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة كلها عاجزة فعليا عن العمل. واتخذ الحزب الشيوعى نهج الانتفاضة المسلحة.

كان لينين يعمل سرا وكان يراقب وضع الامور فى البلاد عن كثب. وكتب طوال فترة العمل السرى التى دامت ١١٠ أيام اكثر من ٦٠ مقالة ورسالة. ومن بين هذه الاعمال كتاب «الكارثة المحيقة وكيف نقاومها». وكان هو منطلق الحزب

طالب الشعب فى كل مكان باقامة جمهورية ديمقراطية حقا، وطالب بالسلام والارض. وهذه صورة لاحدى مظاهرات سبتمبر فى سيبيريا.

الذى يجيب على سؤال: كيف يمكن انقاذ البلاد من الهلاك؟ وبعد أن رسم لينين صورة الفقر والمجاعة التى حكم بهما على الجماهير من جراء تدبير البرجوازية وكبار الملاك، اقام التبرير العلمى لتلك التدابير الثورية التى من شأنها تجنب وقوع الكارثة: الرقابة العمالية على الانتاج وتأميم البنوك والسنديكات.. الخ مع مصادرة أراضى كبار الملاك وتأميم الارض كلها.

وكانت نقطة البداية فى هذا المنطلق عشية الثورة البروليتارية

مهرجان خطابى للجنود والكادحين الاوزبيك فى طشقند.

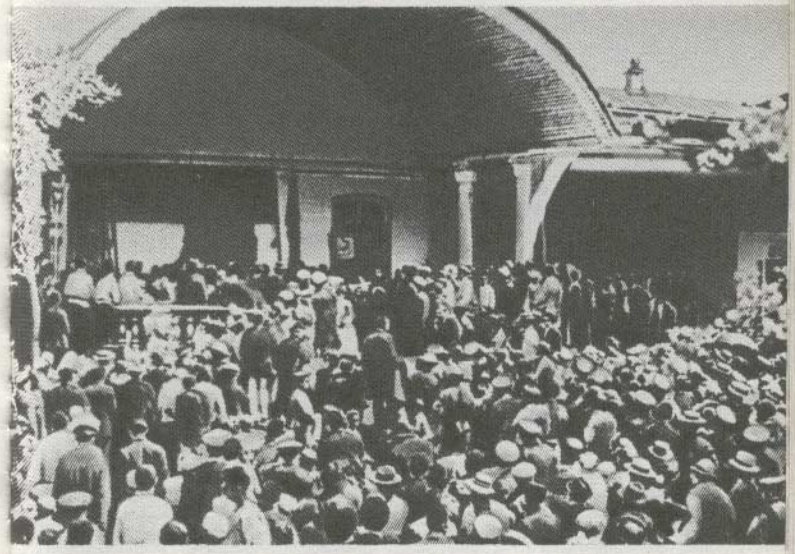

العظمى هى حكم لينين الاساسى بصدد امكانية انتصار الاشتراكية فى بلد واحد على حدة.

فى الفترة من ١٢ الى ١٤ سبتمبر كتب لينين رسالتين الى اللجنة المركزية ولجنة بطرسبورج ولجنة موسكو أجمل فيهما تحليله للموقف وأجاب فى غاية الوضوح على سؤال: لماذا يستطيع البلاشفة بل لماذا ينبغى عليهم الاستيلاء على السلطة الان بالذات؟ لقد انتقلت القيادة فى سوفيتى العاصمتين الى أيدى البلاشفة الذين تسير جماهير الشعب وراءهم. وبعد أن تأخذ السوفيتات السلطة فسوف تبدأ على الفور فى ابرام صلح ديمقراطى وسوف تأخذ الارض من كبار الملاك دون عوض مع اعطائها للفلاحين. وكتب لينين: «بعد أن حصل البلاشفة على الاغلبية فى كلا سوفيتى العاصمتين لنواب العمال والجنود، يستطيعون بل يجب عليهم ان يأخذوا سلطة الدولة فى أيديهم».*

لم تتضمن رسائل لينين موعد الانتفاضة. فقد كان على اللجنة المركزية ان تقرر هذا الامر باختيار اللحظة المناسبة للانتفاضة. وكان الكلام يدور فقط آنذاك حول ضرورة ان يدرك حزب البلاشفة كله ضرورة الانتفاضة.

* . فلاديمير لينين. المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٤، ص ٢٣٩.

ينبغى اسقاط الحكومة اليوم، لانه قد يفوت الاوان غدا

انقضى ما قليلا على ٣ أسابيع منذ الفترة التى دعا فيها لينين الى الانتفاضة فى منتصف سبتمبر. ولكن الوضع فى البلاد تغير جدا خلال هذه الفترة.

فقد قررت الحكومة المؤقتة نقل الحامية الثائرة من العاصمة بحجة ان المانيا تحشد قواها العسكرية ضد بيتروجراد. وكانت نية الحكومة تعنى ترك البلاشفة دون تأييد الوحدات الثورية. ومن ناحية أخرى كان بالامكان التخوف من انه يجرى الاعداد لتسليم بيتروجراد الثائرة الى الالمان.

وكانت السلطات الالمانية هلعة بدورها من تفشى عدوى الثورة فى بلادها أيضا بعد أن قويت تحت تأثير الاحداث الثورية فى روسيا. واذ خافت تطور الثورة قدما فى مؤخرتها، فلم تكن تتورع من عقد صلح منفرد مع روسيا بهدف الانكباب على الثورة بالاشتراك مع البرجوازية الروسية وهى ما زالت فى السلطة بعد.

وتطلبت هذه التغييرات كلها تحديد موعد الانتفاضة. وفى الثالث من اكتوبر وصل لينين سرا الى بيتروجراد. وفى العاشر من اكتوبر عقدت جلسة اللجنة المركزية التى القى فيها لينين تقريرا عن الوضع الدولى والداخلى للبلاد واختتمه باستنتاج بضرورة قيام الانتفاضة. وصوتت غالبية أعضاء اللجنة المركزية لصالح القرار الخاص بالانتفاض فورا.

وبدأت اللجنة المركزية فى انشاء أركان الانتفاضة: فقد انشئت لدى سوفيت بيتروجراد اللجنة الثورية العسكرية، التى كانت مهمتها هى التنفيذ العملى للانتفاضة.

ولم يخضع زينوفيف و كامينيف اللذان صوتا ضد قرار اللجنة المركزية لهذا القرار وأقدما على الخيانة السافرة: فقد كتبا رسالة فى صحيفة منشفية بصدد عدم موافقتهما على قرار اللجنة المركزية بصدد الانتفاض. واذ أخذت الحكومة حيطتها بعد ان احاطها الخونة علما، شددت من التدابير الخاصة بقمع الانتفاضة المقترحة. واستدعيت من الجبهة الوحدات الموالية للحكومة. واتخذ المناشفة والاشتراكيون الثوريون من جانبهم أيضا تدابير اضافية: فقد قرروا تأجيل عقد المؤتمر الثانى للسوفيتات الى ٢٥ اكتوبر وطالبوا منظماتهم باتخاذ كافة التدابير الممكنة لضمان الاغلبية فيه.

كان العمل فى هذه الظروف مشوبا بالمخاطرة فأجل البلاشفة القيام بالانتفاضة. ولكن التأجيل ليس معناه الالغاء. فقد دأب البلاشفة على نحو مشدد على تكوين مفارز الحرس الاحمر. وكانوا يراجعون ويتأكدون من مزاج أفواج الحامية. وأرسلت اللجنة الثورية قوميساراتها الى جميع الوحدات العسكرية بالجيش مع تكليفهم بتحقيق تكاتف وتضافر الحامية وتهيئتها للعمل. وجرى عمل دعائى سياسى غفير فى المصانع والفابريقات ووحدات الحامية. وقبيل الانتفاضة كان فى صفوف الحرس الاحمر بالعاصمة اكثر من ٢٠ ألف عامل. وكان البلاشفة

يحظون بالتأييد ليس فى بيتروجراد وموسكو وحدهما، اذ نمت مفارز الحرس الاحمر فى كافة أرجاء البلاد.

وكان لينين يرى ضرورة ان تصبح بيتروجراد هى نقطة تجمع كافة القوى المعدة للانتفاضة. ففى بيتروجراد كانت الحكومة ومؤسساتها. وكانت بها أيضا اللجنة المركزية للبلاشفة المؤيدين بمفرزة ثابتة حاسمة محنكة للطبقة العاملة ونعنى بروليتاريا بيتروجراد والاسطول الثائر والحامية الثائرة.

واذ وضع لينين فى الاعتبار ان زعماء الاشتراكيين الثوريين والمناشفة لم يأجلوا مؤتمر السوفيتات الى الخامس والعشرين من اكتوبر بمحض الصدفة، فقد كانوا يحاولون عرقلة خطط البلاشفة وتحقيق الاغلبية دون التورع عن تزوير نتائج الانتخاب، فقد أصر على قيام الانتفاضة قبل المؤتمر. أضف الى ذلك ان رفقاء البلاشفة الذين لا يعول عليهم ونعنى الاشتراكيين الثوريين اليساريين لم يقطعوا صلتهم بالاشتراكيين الثوريين اليمينيين على الرغم من أنهم أعلنوا مناصرتهم للبلاشفة بل بلغ بهم الامر انهم رشحوا ممثليهم فى اللجنة العسكرية الثورية بسوفيت بيتروجراد. واتضح فى سياق الاعداد للانتفاضة ان تروتسكى يؤيد تأجيل الانتفاضة الى ما بعد انعقاد المؤتمر حيث كان من رأيه ان المؤتمر هو الذى سيحل مسألة نقل السلطة الى السوفيتات.

موه تروتسكى وكذلك الحال بالنسبة لزينوفيف وكامينيف اللذان أيداه اقتراحاتهم باعتبارات «الشرعية» فزعموا ان قرار المؤتمر بصدد الاستيلاء على السلطة سوف يكون قانونيا

مشروعا، وفى حالة عدم خضوع الحكومة له فسوف يتأتى ارغامها على القيام بذلك. ولكن هؤلاء لم يدركوا أو لم يريدوا ادراك ان اقتراحهم بانتظار حل مسألة السلطة الى عقد مؤتمر السوفيتات لا يضع فى الحسبان التزعزعات المحتملة للرفقاء غير الراسخين واعمال التزوير المحتملة فى الانتخابات من جانب الاشتراكيين الثوريين والمناشفة فضلا عن انها تبيح للعدو بموعد الانتفاضة.

وأصر لينين على ضرورة بدء الانتفاضة قبل انعقاد المؤتمر الثانى للسوفيتات حتما. وكان الامر يتطلب ضرورة استباق العدو الذى احاطه الخونة علما والذى كان فى انتظار أعمال الانتفاضة يوم افتتاح أعمال المؤتمر.

وبناء على اقتراح فلاديمير لينين بدأت اللجنة المركزية الانتفاضة فى الرابع والعشرين من اكتوبر أى قبل افتتاح المؤتمر الثانى للسوفيتات. واستولت مفارز الحرس الاحمر والوحدات التى تم تحديدها مسبقا بالحامية على المؤسسات الحكومية حسب الخطة الموضوعة واضطلعت بحماية الكبارى المقامة على نهر نيفا، ومن ثم ضمنوا اتصالات الاحياء العمالية بوسط العاصمة. واستولى المنتفضون على المعتقلات دون أدنى مقاومة وأطلقوا سراح المعتقلين السياسيين. وانخرط الذين تم اطلاق سراحهم على الفور فى صفوف المنتفضين. كذلك تم الاستيلاء على المحطات وتشكيل مفارز للطوارئ فى حالة قدوم تعزيزات للثورة المضادة من الجبهة.

لم يعلن عن اجراء الاضراب، اذ لم تكن هناك مدعاة لذلك. فقد أصبحت المصانع والفابريقات فى أيدى العمال. وجرى فى المنشآت تسجيل المتطوعين فى الحرس الاحمر. ووصل الى العاصمة البحارة قادمين من كرونشتادت على استعداد للمشاركة فى الانتفاضة. ووصلت مفارز البحارة فى الوقت المناسب مع حلول مساء اليوم التالى. وتم الاستيلاء على بنك الدولة والمقر المركزى للبريد والتلغراف وأقسام الاتصالات المحلية فى الاحياء. واستولى المنتفضون على مقار تحرير الصحف البرجوازية.

واستحثت الحكومة المؤقتة الاتصال التلغرافى عبثا. فقد كانت سيول البرقيات تـــــرد الى القصر الشتوى من الجبهة تحمل وعودا بارسال الوحدات المطلوبة، ومع ذلك لم يظهر أى جندى.

وفى مساء الرابع والعشرين من اكتوبر دعت اللجنة المركزية لينين للقدوم الى سمولنى من شقته السرية. وتولى زعيم الحزب وملهم ومنظم الانتفاضة المسلحة دفة قيادة الثورة. وأصر لينين على ضرورة الاستيلاء على القصر الشتوى فى أقصر وقت ممكن واعتقال أعضاء الحكومة المؤقتة. وكتب مساء الرابع والعشرين من اكتوبر: «لا يمكن بحال الابقاء على السلطة فى أيدى كيرينسكى وشركائه حتى الخامس والعشرين... يجب حسم الامر اليوم بالتأكيد مساءا أو خلال الليل».*

وفى ليلة الخامس والعشرين من اكتوبر عقدت جلسة اللجنة

*فلاديمير لينين. المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٤، ص ٤٣٦.

المركزية. وكانت الاخبار كلها تنبئ عن النجاح التام للانتفاضة. ونوقشت مسألة تشكيل الحكومة الثورية الجديدة ومسألة خطاب لينين فى المؤتمر الثانى للسوفيتات بصدد السلام والارض. وكلفوا لينين بكتابة خبر انتصار الانتفاضة واسقاط الحكومة المؤقتة. وفى الساعة العاشرة من صباح الخامس والعشرين من اكتوبر تم اقرار النداء الذى كتبه لينين «الى مواطنى روسيا!»:

معهد سمولنى: مقر الثورة.

مفارز الحرس الاحمر مستعدة فى أية لحظة لمكافحة القوى المسلحة للحكومة المؤقتة.

موسكو. جنود الثورة مع مدافع القتال.

«لقد اسقطت الحكومة المؤقتة. وانتقلت سلطة الدولة الى أيدى جهاز سوفيت نواب العمال والجنود ببيتروجراد،

وهو اللجنة الثورية العسكرية التى ترأست بروليتاريا وحامية بيتروجراد.

لقد تحققت القضية التى ناضل الشعب من أجلها، ونعنى الاقتراح الفورى بعقد الصلح الديمقراطى والغاء ملكية كبار الملاك للارض وفرض الرقابة العمالية على الانتاج وانشاء الحكومة السوفيتية.

تحيا ثورة العمال والجنود والفلاحين!»*

من الصعب ان نجـد فى التاريخ مثيلا لهذا الايجاز والتركيز الذى أعلن به نبأ الاطاحة بالحكومة القديمة وانتقال السلطة الى الطبقة الجديدة وبرنامج الحكومة الجديدة. وكان هذا الايجاز بحد ذاته يقول: كفانا أقوالا ووعودا من تلك التى امطرتنا بها جميع الحكومات السابقة بوفرة، فقد آن الاوان للانتقال الى العمل الذى ينتظره الشعب بعد ان استبد الجوع والمعاناة.

وفى وقت متأخر من مساء الخامس والعشرين من اكتوبر افتتح المؤتمر الثانى للسوفيتات أعماله. وكان قد تم تسجيل ٦٤٩ مندوبا للمؤتمر قبل الافتتاح. وكان للشيوعيين ٣٩٠ مندوبا فى المؤتمر أى حوالى ٦٠٪. وسجل الاشتراكيون الثوريون الذين كانوا يمثلون تيارا موحدا يوم التسجيل ١٦٠ مندوبا أى نحو ٢٥٪. وكان عدد مندوبى المناشفة بكافة تياراتهم وأنواعهم ٧٢ مندوبا، أى ١١٪. وفى يوم افتتاح المؤتمر انشق تيار الاشتراكيين الثوريين، اذ شكل الاشتراكيون

*فلاديمير لينين، المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٥، ص ١.

الثوريون اليساريون جناحا خاصا بهم انتقل اليه الجانب الاعظم من المندوبين الاشتراكيين الثوريين.

وكان المؤتمر يضم ممثلين لاكثر من ٤٠٠ سوفيت من كافة أنحاء البلاد. وبعثت الاطراف القومية اكثر من ٢٠٠ مندوب، وبعث الجيش والاسطول مثل هذا العدد أيضا. وتم فى الحزب تمثيل عشرات الملايين من العمال والكادحين من أبناء كافة القوميات والبلاد كلها وجيشها وكافة القوى الاساسية للثورة. وكان المؤتمر تعبيرا عن ارادة وقوة الشعب.

لكن عمل المؤتمر بدأ بالاعتراض: فقد تلا ممثلو الاشتراكيين الثوريين اليمينيين والمناشفة بيانا يدين الثورة وأعلنوا أنهم يقاطعون المؤتمر وسيعتصمون فى القصر الشتوى «لكى يموتوا مع ناخبيهم». وتفيد بينات لجنة الطعون ان ٥١ مندوبا أى نحو ٧٪ من مندوبى المؤتمر قد غادروه وأخذوا معهم المختزلين (كتب تاريخ المؤتمر من واقع وثائقه وتسجيلات الصحفيين والمذكرات). وكان هذا هو أول اعمال التخريب ضد السلطة السوفيتية، استغلته الثورة المضادة على نطاق واسع كاحدى وسائل الصراع.

وما أن خرج آخر المنسحبين من الباب حتى صعد ممثل الاشتراكيين الثوريين اليساريين الى المنصة حيث أعلن ان كل جناح الاشتراكيين الثوريين اليساريين سيبقى مع البلاشفة فى المؤتمر. وقوبل هذا البيان بالتصفيق العاصف.

بينما كان النقاش جاريا أثناء المؤتمر كان المنتفضون قد حاصروا ساحة القصر تماما حيث كان بها القصر الشتوى

وأركان منطقة بيتروجراد العسكرية التى كانت تتولى حماية الحكومة المؤقتة المخلوعة. وكان القصر الشتوى فى حماية نحو ٣ آلاف من طلبة الكليات الحربية والضباط والجنود من كتيبة النساء الضاربة.

وفى الخامس والعشرين من اكتوبر صدرت الاشارة من الطراد «أفرورا» فانطلقت وحدات الحرس الاحمر المحتشدة لدى القصر الشتوى فى الهجوم العارم.

لم يكن أحدا يعرف الغرفة التى كانت الحكومة المخلوعة متواجدة فيها. وأخيرا فتحت على مصراعيها أبواب الغرفة التى كان الوزراء الهلعين جالسين فيها. وقبيل ذلك بقليل كان قد تم من هذه الغرفة ارسال آخر برقية الى القيادة العامة العليا: «لقد أعلن سوفيت نواب العمال والجنود ببيتروجراد اسقاط الحكومة وطالب بنقل السلطة اليه وهدد بقصف القصر الشتوى بمدافع قلعة بيتروبافلوفسك والطراد «أفرورا». ولا تستطيع الحكومة تسليم السلطة الا للجمعية التأسيسية، وقررت عدم الاستسلام ووضع نفسها فى حماية الشعب والجيش. وعجلوا ارسال الجيش».

لقد عقدت الحكومة المخلوعة أمل انقاذها على الجمعية التأسيسية وكانت قد عوقت انعقادها خلال فترة وجودها كله.

كانت الساعة تشير الى الواحدة وخمسين دقيقة من صباح السادس والعشرين من اكتوبر عندما بدأ تدوين محضر القاء القبض على الوزراء السابقين. لقد أرسلوهم الى قلعة

بيتروبافلوفسك، وهو المكان الذى كان مخصصا حتى ذلك الوقت لسجن المناضلين ضد القيصرية. أما الضباط وطلبة الكليات العسكرية الذين القى القبض عليهم فى القصر فقد تم تسريحهم بعد تجريد سلاحهم.

استقبل مندوبو المؤتمر نبأ سقوط آخر معقل للحكومة السابقة بالاستحسان الاجماعى. وتم اقرار النداء الذى كتبه لينين الى العمال والجنود والفلاحين: «ان المؤتمر يتولى السلطة بالاعتماد على ارادة الغالبية الهائلة من العمال والجنود والفلاحين وبالاعتماد على انتفاضة العمال والحامية المنتصرة التى حدثت فى بيتروجراد»*. وأعلن النداء انتقال السلطة بأكملها فى الاقاليم الى سوفيتات نواب العمال والجنود والفلاحين.

وفى مساء السادس والعشرين من اكتوبر عقدت الجلسة الثانية للمؤتمر الثانى للسوفيتات.

واقر النواب القرار الصادر عن هيئة رئاسة المؤتمر بالغاء عقوبة الاعدام على الجبهة واطلاق سراح جميع الجنود والضباط الذين كانوا قد اعتقلوا لاسباب سياسية ضد السلطات، وكذلك جميع أعضاء لجان الارض الذين قدمتهم الحكومة المؤقتة السابقة الى المحاكمة بالمشاركة مع وزراء الزراعة الاشتراكيين الثوريين فى هذه الحكومة.

ثم القى فلاديمير لينين بعد ذلك تقريرا بصدد السلام فقال: «ان مسألة السلام هى المسألة الملتهبة والمسألة

*فلاديمير لينين. المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٥، ص ١١.

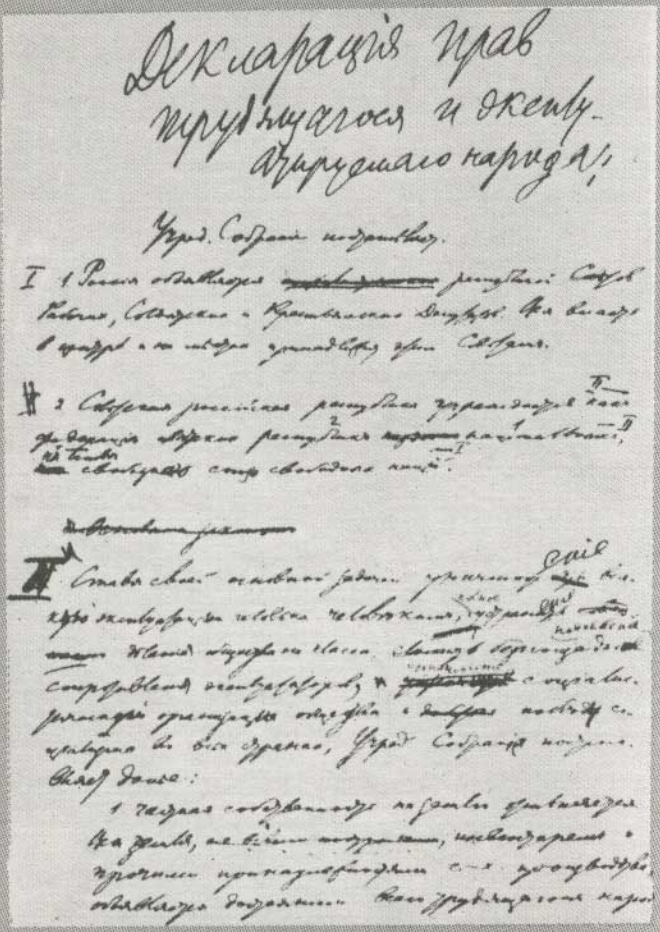

الصفحة الاولى من مخطوط لينين «اعلان حقوق الكادحين والشعوب الواقع عليها الاستغلال» الذى أعلن القضاء على استغلال الانسان للانسان وبداية بناء الاشتراكية. وقد أقرت هذه الوثيقة فى الخامس من يناير عام ١٩١٨ وكانت من حيث الجوهر هى أول دستور لبلاد السوفيتات.

الملحة العويصة فى وقتنا الراهن. وقد قيل عنها وكتب الكثير. ولعلكم جميعا قد ناقشتموها كثيرا. ولذا اسمحوا لى ان انتقل الى تلاوة البيـــان الـــذى يجب أن تصدره الحكومة التى ستختارونها». *

اقترحت الحكومة السوفيتية على كافة الشعوب والحكومات المتحاربة البدء فورا فى المفاوضات الخاصة بالسلام العادل الديمقراطى. وتجنبا للحيل الديبلوماسية وأية تفسيرات محرفة فقد صاغ «مرسوم السلام» بدقة ووضوح وتحديد ان السلام الديمقراطى هو سلام دون ضم أو تعويضات. وحاولت الاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة تطبيق مفهوم الضم طبقا لمصالحها الطبقية ونعنى بالذات انها قـــررت اعتبـــار كافة الاراضى التى استولى عليها الامبرياليون فى الحرب مضمومة فعلا. على حين انه جاء فى «مرسوم السلام» التأكيد على ان المفهوم بالضم هو كل ضم لقوم صغير أو ضعيف الى دولة كبيرة أو قوية دون التعبير الطوعى عن موافقة هذا القوم. ولا يهم فى ذلك وقت وقوع الضم أو التوحيد القهرى أو مدى تطور أو تخلف الامة الموحدة قهرا أو التى أبقى عليها قهرا ضمن حدود الدولة المعنية، وأخيرا بغض النظر عن كون هذه الامة تعيش فى أوروبا أو فى البلدان البعيدة وراء المحيط.

وكان المقصود فى المرسوم السوفيتى هو السلام الديمقراطى الشامل لكافة الشعوب. وتأكيدا لرفض الديبلوماسية السرية

*فلاديمير لينين. المؤلفات الكاملة. المجلد ٣٥، ص ١٣.

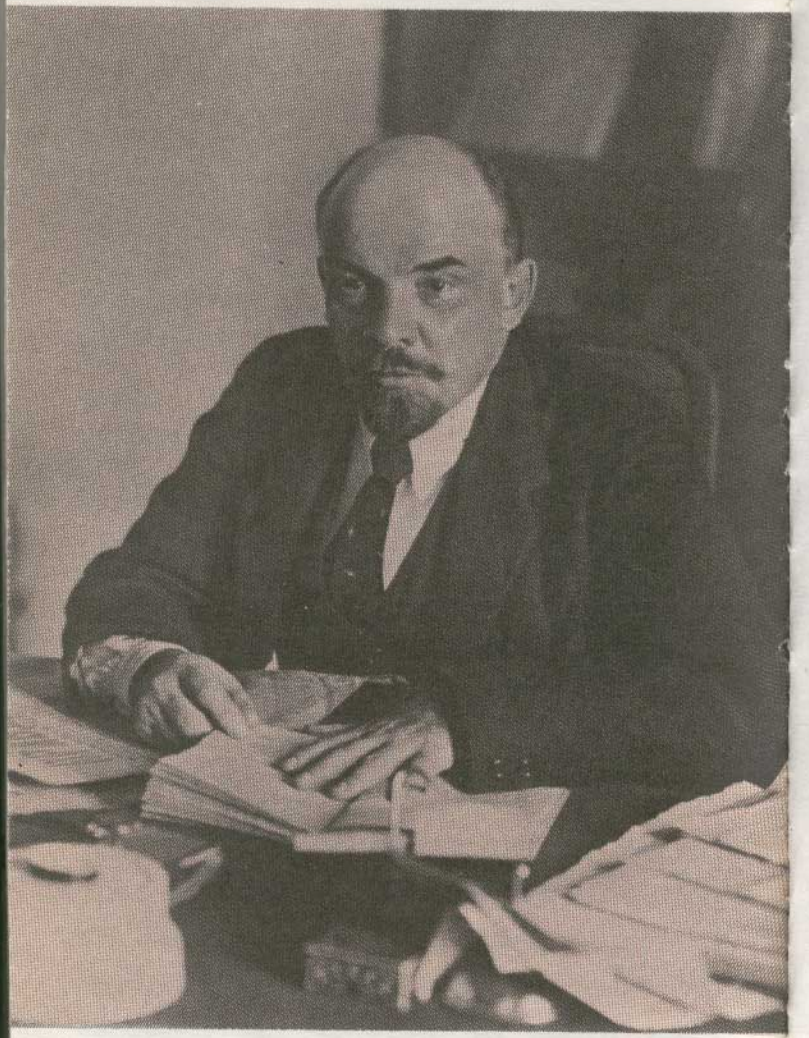

فلاديمير لينين.

أعلنت الحكومة السوفيتية انها تبدأ فورا فى نشر الاتفاقيات السرية التى أبرمتها الحكومة القيصرية المخلوعة والحكومة المؤقتة المخلوعة وتعلن الغاء هذه الاتفاقيات.

ان مرسوم السلام قد فند أمام البشرية جمعاء طابع نهب الحرب العالمية الاولى وكان نداءا الى شعوب كافة البلدان لاقرار السلام. وأعلن المؤتمر بهذا القرار مبدأ التعايش السلمى بين الدولة السوفيتية والبلدان الرأسمالية. وترسخت مبادئ أول قانون سوفيتى للسلام فى أساس السيـاسة الخارجية للسلطة السوفيتية.

وفى نفس المساء أعلن لينين «مرسوم الارض» وكان مكونا من ٣ نقاط:

١ — الغاء ملكية كبار ملاك العقارات للارض فورا دون أية تعويضات.

٢ — تنتقل ضياع كبار الملاك وكافة أراضى الاقطاع والاديرة والكنائس بكل ما عليها من أدوات عينية وحية وبنايات وكل مقتنياتها وتوابعها ولوازمها تحت تصرف لجان الارض فى القرى وسوفيتات نواب الفلاحين فى الاقضية، الى انعقاد الجمعية التأسيسية.

٣ — ان أى اضرار بالاملاك المصادرة المملوكة من الان للشعب كله يعد جريمة شنعاء تعاقب عليها المحكمة الثورية. وعلى سوفيتات نواب الفلاحين فى الاقضية اتخاذ كافة التدابير للحفاظ على النظام أثناء المصادرة ولتحديد

القطع التى تسرى عليها المصادرة ولوضع قوائم صارمة جدا لكل الاشياء المصادرة وللحماية الثورية لهذه الممتلكات.

لم يحدث فى التاريخ من قبل قط ان جاء القانون الخاص بمصالح ١٠٠ مليون فلاح على الاقل بهذه الصياغة الموجزة المركزة الواضحة المفهومة.

اختير فلاديمير لينين رئيسا للحكومة التى أطلقت عليها تسمية سوفيت (مجلس) مفوضى الشعب. وانتخب المؤتمر اللجنة المركزية التنفيذية الجديدة لعموم روسيا، وكانت غالبية اعضائها من البلاشفة.

كان الفجر قد بزغ عندما انهى المؤتمر الثانى للسوفيتات أعمالـــه...

ما الذى أعطته ثورة اكتوبر الى شعوب روسيا والكادحين بالعالم كله؟

قبل ثورة اكتوبر لم تعرف البشرية سوى شكلا واحدا لديكتاتورية البروليتاريا. كانت تلك هى كومونة باريس. وقد عاشت ٧٢ يوما فقط. لكن تجربتها وانجازاتها وامكانياتها أصبحت انجازا للكادحين فى العالم كله بفضل الماركسية.

وجاءت ثورة اكتوبر بشكل آخر لديكتاتورية البروليتاريا على هيئة السوفيتات التى تجسد تحالف البروليتاريا مع فقراء

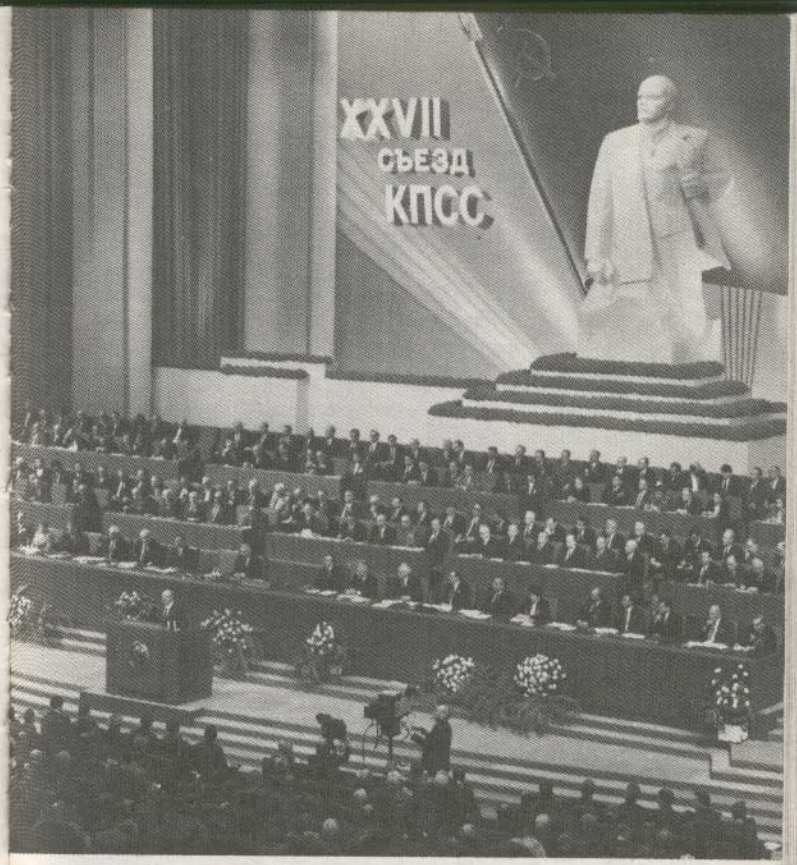

«لينين معنا!» هذا هو نداء الشيوعيين السوفيت في بدء تنفيذ البرنامج الجديد الهائل للتنمية المطردة وتحسين المجتمع الاشتراكي، وهو البرنامج الذي اقره المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي. وسيظل الشيوعيون السوفيت أوفياء للمثل العليا اللينينية بصدد السلام والابداع والتضامن الاممي.

الفلاحين. وكان هذا شكلا اكثر طليعية وديمقراطية جدا من أشكال السلطة عن أي شكل آخر سابق لها، لانه أشرك في ادارة شئون الدولة أوسع جماهير الشعب. وقد أتاح امكانية بسط ونشر القوى الابداعية للشعب بعد أن خنقها وداس الرأسمال عليها.

ولا ينبغي التوصل من هذا الى استنتاج ان ابداع الشعب كان قاصرا على انشاء السوفيتات وان تحرير العالم من النير الشامل العام سوف يجري بهذا الشكل وحده. فالابداع المنظم لجماهير الشعب يستطيع أن يطرح أشكالا أخرى أيضا. وتشهد على ذلك الديمقراطية الشعبية التي أصبحت بعد ثورة اكتوبر شكلا لديكتاتورية البروليتاريا. لكن نمط السلطة وجوهرها وطابعها ظل واحدا في كل الاحوال: انها سلطة العمال بالتحالف مع الفئات غير البروليتارية من الكادحين.

وتتمثل الاهمية العالمية التاريخية لثورة اكتوبر في انها بينت طريق تحرير البشرية من حتمية تكرار الحروب الامبريالية الدامية. فقد كلفت الحرب العالمية الاولى البشرية ١٠ ملايين قتيل و٣٠ مليون مشوه. وتسببت الحرب العالمية الثانية التي أشعلتها الفاشية في خسائر تزيد عن ثلاثة أمثال ذلك. أما الحرب الثالثة باستخدام القنابل الذرية فتهدد بفناء العالم وابادة الحضارة المعاصرة كلها.

ان النظام الذي اقامته الثورة الاشتراكية قادر ليس فقط على كبح جماح الامبرياليين، وعدم السماح لهم بالقاء البشرية في أتون الحرب، بل قادر أيضا على اقتلاع جذور الحرب

كأداة لحل النزاعات والصراعات والهيمنة. فالاشتراكية والسلام كل واحد لا يتجزأ. وليس صدفة ان كان أول قانون للسلطة السوفيتية هو «مرسوم السلام» الذى عرض المبادئ الاساسية للسياسة الخارجية للسوفيتات.

ظل الفلاحون مئات السنين يحلمون بالحصول على الارض. وكانت الاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة على اختلافها تعد الفلاحين فى برامجها وخطبها بأن تجلب لهم التحرر من نير المالك الكبير. وثورة اكتوبر وحدها هى التى نفذت وعودها وأعطت الارض للفلاحين. والاشتراكية تقضى على الفقر فى الريف وتقضى على ارتباط القنانة الازلى وتقضى على الملكية الصغيرة والضئيلة للارض التى تجبر الفلاحين على نقص التغذية والكدح الشاق الذى لا يقوون عليه. والاشتراكية تبعث الكدح الحر فى الارض الحرة.

لقد رأت شعوب العالم التى ظلت مستعبدة مقهورة على مر القرون والتى تعودت بالحديد والدم الخضوع والركوع أمام الاقوى؛ رأت من خبرة الشعوب المحررة فى روسيا ان الامبريالية ليست القادرة على كل شىء. ان مرسومات السلطة السوفيتية الخاصة بالغاء النير القومى والاعتراف بحق تقرير المصير بما يصل الى الانفصال وانشاء جمهوريات قومية مستقلة، قد بينت للشعوب المقهورة الطريق الى الحرية.

ولاول مرة فى تاريخ الحركة العمالية تقرر طول يوم العمل بـ ٨ ساعات. لقد طرح هذا المطلب على امتداد عقود طويلة لكن لم يتقرر تحديد يوم العمل بـ ٨ ساعات قبل ثورة

اكتوبر حتى فى اكثر البلدان الرأسمالية تطورا. وفرضت ثورة اكتوبر الرقابة العمالية على الانتاج. ونتيجة لذلك وبعد نصف عام من الثورة انتقل الجانب الاكبر من المصانع والفابريقات والنقل الى أيدى دولة البروليتاريا.

ان انتصار ثورة اكتوبر قد زاد من درجة تنظيم البروليتاريا العالمية. فقبل ثورة عام ١٩١٧ كان هناك حزب شيوعى واحد فى روسيا. وبعد ثورة اكتوبر تم خلال السنوات الخمس الاولى انشاء نحو ٤٠ حزبا شيوعيا. وكان ظهور هذه الاحزاب رهينا بالطبع بالاحتياجات الداخلية لبلدانها، غير أن مرسومات السلطة السوفيتية أضاءت الطريق الصعب لانشائها وكأنها مشاعل لا تنطفىء. وتكمن فى هذا الاهمية الدولية لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى.

Минц Исаак Израилевич
КАК ПРОИЗОШЛА ОКТЯБРЬСКАЯ РЕВОЛЮЦИЯ
на арабском языке
Цена 40 коп.

كيف حدثت ثورة أكتوبر

اسحق مينتس: مؤرخ سوفيتى مشهور — حاصل على لقب أكاديمى. صاحب عديد من المؤلفات الموسوعية منها «تاريخ ثورة اكتوبر الكبرى» فى ٣ مجلدات، وكثير من المؤلفات الاساسية المكرسة لموضوع ثورة اكتوبر والحرب الاهلية فى روسيا، وبعض مشاكل السياسة الخارجية للدولة السوفيتية.

وقد حاز اسحق مينتس على جائزة الدولة مرتين، وجائزة لينين، ولقب بطل العمل الاشتراكى.